

سلسلة علم الاجتماع المعاصر  
الكتاب التاسع والمئرون

توم بوتومور



الدكتور علي عبد الرزاق علي  
أستاذ علم الاجتماع المساعد  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الدكتور محمد علي محمد  
أستاذ رئيس قسم الاجتماع  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة للطباعة

نقد علم الاجتماع الماركسي



سلسلة علم الاجتماع المعاصر  
الكتاب السابع والعشرون

توم بوتومور  
نقد علم الاجتماع الماركسي

ترجمة وتعليق

الدكتور علي عبد الرزاق مكي  
أستاذ عام الاجتماع المساعد  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الدكتور محمد علي محمد  
أستاذ رئيس قسم الاجتماع  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٤

دار المعرفة الجامعية



## محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة الترجمة العربية : حوار مع الماركسية وعلم الاجتماع	
بقلم الدكتور محمد على محمد	٧
الفصل الاول : مقدمة	٢٧
الفصل الثاني : الماركسية نسق نظرى فى علم الاجتماع	٣٧
الفصل الثالث : الماركسية ورفض علم الاجتماع	٥٩
الفصل الرابع : النظرية والممارسة	٨٥
الفصل الخامس : علم الاجتماع الماركسى وعلوم الاجتماع	
الاخرى	١٠٥



مقدمة الترجمة العربية  
حوار مع الماركسية وعلم الاجتماع  
بقلم  
الدكتور محمد على محمد

كثيرة هي القضايا التي تثار حينما يعقد المرء حواراً على أى مستوى مع الماركسية وعلم الاجتماع ، فالبعض قد يزعم انهما يمثلان نوعان مختلفان من الفكر ، وأنه لا مبرر من عقد هذا الحوار ، ويقف آخرون في الطرف المقابل لذلك فيزعمون انهما شيء واحد ، وأن الحوار يستهدف في نهاية المطاف التدليل على هذه الحقيقة . على حين نجد أن فريقاً ثالثاً يذهب مذهباً مختلفاً ، ونقول « مختلف » لأنه لا يقوم على مجرد اتخاذ موقف وسط بين نقيضين ، وانما هو ينهض على الدراسة المتعمقة لكل من الاتجاهين الفكريين : الماركسية وعلم الاجتماع ، ويخلص الى ما بينها من التقاء أو اختراق ، ويؤكد ان الحوار بينهما هو نوع من « المواجهة » التي تتطوى بدورها على نفخ متبادل ، طالما أن هناك اتفاقاً أو اجماعاً حول الهدف العام من هذه التيارات الفكرية الا وهو : تفسير هذا العالم الاجتماعى من أجل تغييره الى عالم مشبع ومحقق لغايات مكانه .

من هذا المنطلق وجدت أنه من الممكن ادارة الحوار ، لكى يكون مقدمة لهذا الكتيب الصغير في حجمه ، والخطير في مادته وأفكاره ، الذى كتبه الاستاذ توم بوتومور بهدف توضيح طبيعة العلاقة بين الماركسية



من جهة ، وعلم الاجتماع من جهة أخرى • على أن الذى شجعتنى على عقد هذا الحوار ، أو اجراء تلك « المواجهة » أننى حصرت نفسى فى مصدرين رئيسيين يطرحان الابعاد الاساسية لهذا الحوار : المصدر الاول هو مقال مؤلف هذا النص ذاته ، بعنوان : الماركسية وعلم الاجتماع ، نشره بوتومور فى الكتاب الذى أشرف على تحريره بالاشتراك مع الاستاذ روبرت نيسبت<sup>(١)</sup> ، والآخر هو بحث قيم يكمل الصورة التى نريد أن يقف عليها القارئ ، ذلك هو دراسة الاستاذ الفن جولنر بعنوان : الماركسيان ، ويعرض فيه لتطور الماركسية أو يقدم دراسة « ماركسية للماركسية Marxism of Marxiam » ويقصد من ذلك اجراء نوع من التحليل البنائى الداخلى للماركسية ينهض على قضية مؤداها ، ان تطور الماركسية انما يرتبط بما حدث لها من « جدل وصراعات داخلية » بوصفها نظاما فكريا يسعى الى تفسير العالم الاجتماعى وتغييره •

## ( ١ )

ما هى طبيعة العلاقة بين الماركسية وعلم الاجتماع ؟ سؤال ينبغى الاجابة عليه حينما نبدأ الحوار بينهما • يقول بوتومور : « منذ أكثر من قرن والعلاقات بين الماركسية وعلم الاجتماع وثيقة ، ومستمرة

---

(١) انظر Bottomre, T. Marxism and Sociology; in Bottomomre & Robert Nisbet. *A History of Sociological Analysis*, Heinemann, London, 1979, 11 - 248.

(٢) A. Gouidner, *The Two Marxisms; Contradictions and Anomalies in the Development of Theory*; Macmilan, N, X. 1980.

ومعقدة » ، أما كون هذه العلاقات وثيقة ، فذلك مرجعه الى أن النظرية الماركسية ارادت — شأنها شأن علم الاجتماع — أن تكون علما عاما للمجتمع .

فمن المعروف أن ماركس قد رفض التسمية التي أطلقها أوجيست كونت وهي « علم الاجتماع Sociologie » وذلك راجع الى أن كونت قد انطلق في صياغته لهذا العلم من الفلسفة الوضعية ، التي اعتقد ماركس أنها تضرب بجذورها في الروح الكاثوليكية فأنها تكشف عن روح لا هوائية طائفية ، وعن جنون تنبؤي ، على الرغم من أن كونت قد ادعى أن الوضعية هي المرحلة التي يكتمل فيها نضج المنهج العلمي الطبيعي الذي أراد أن يكون منهجا للعلم الجديد . وهكذا تحدث ماركس عن « علم المجتمع » الذي يؤلف بين مختلف الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويكملها ، والهدف الاساسي لهذه الدراسة الشاملة للمجتمع أن نحقق فهما للتغيرات التي حدثت في المجتمع والراجعة الى تطور الرأسمالية الصناعية والثورات السياسية التي شهدها القرن التاسع عشر .

وعلى الرغم من التباين بين علم الاجتماع الوضعي الذي صاغه كونت ، وبين علم المجتمع الذي طالب به ماركس ، إلا أن المصادر التي استقى منها ماركس أفكاره ونظرياته تكاد أن تكون نفس المصادر التي قامت عليها النظريات الاجتماعية ليس فقط عند كونت بل عند سبنسر وغيرهما ، والتي أهمها تاريخ الحضارات ، ونظريات التقدم ، وتحليلات سان سيمون للمجتمع الصناعي ، والاقتصاد السياسي الجديد . وعموما فنحن حينما نتحدث عن مصادر الفكر الماركسي نحدد أساسا ثلاثة مصادر رئيسية الاول يتمثل في الفلسفة الالمانية ، أثناء دراسته الاولى

في الجامعة ، واقامته في المانيا وبخاصة فلسفة هيجل وفيرور باخ ، ثم الافكار الاشتراكية ، التي عاش في رحابها حينما انتقل الى باريس ، وخاصة افكار سان سيمون وبرودون ، ثم الاقتصاد السياسي الذي عكف ماركس على دراسته ، وبخاصة افكار ريكاردو وأدم سميث وغيرهما والتقت هذه التيارات جميعا عند ماركس فانسجت خيوطها نسقا فكريا متكاملا ، ينزع نحو النقد ، والعمل من أجل التغيير .

ومن جهة أخرى ، نلاحظ أن تعقد العلاقة بين علم الاجتماع والماركسية واستمرارها ، انما يرجع الى التطورات الداخلية لكل منهما والصراع المباشر بين الاراء النظرية ، وكذلك الجدل الذي ثار حول امكان اعتبار الماركسية نظرية سوسيولوجية متكاملة ، تقف على قدم وساق مع النظريات الاخرى ، أم أنها مجرد بناء فكري متميز وفريد ، أو عالم متكامل من الافكار والمبادئ له وضعيته الخاصة ، ويشكل بصفة عامة بديلا راد يكاليا لاية نظرية سوسيولوجية لا تنطوى على نوجيه نحو « العمل من أجل التغيير » في المجتمع الانساني .

والمآمل للنسق الفكري الماركسي يستطيع أن يؤكد أن النظرية الماركسية تتناول مجموعة من المشكلات التي تشكل بدورها محورا لاهتمام مختلف النظريات السوسيولوجية بغض النظر عن تنوع اطاراتها التصورية ومبادئها المنهجية ، فهي تنتقل من تحليل بناء المجتمع وعلاقاته الاجتماعية ، الى دراسة الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي ، ثم تبحث في ظواهر البناء القوي الايديولوجي وتبين أسس الاغتراب ومظاهره وتفحص التغيرات الاجتماعية والثورات ، وتقدم في النهاية تصورا لما ينبغي أن تكون عليه صورة المستقبل أو المجتمع الجديد وهي في كل ذلك مهتم بالوحدات الكبرى ، وتتخذ من الاحداث التاريخية

مصدرا لتعميماتها وقضاياها الرئيسية • ومن وجهة النظر هذه ، فإن  
الفروق بين الماركسية وعلم الاجتماع لا تبدو بأية حال فروقا أكثر من  
تلك القائمة بين المدارس السوسيولوجية المتنافسة • وهكذا ، يمكن  
الزعم بأن الماركسية تمثل نموذجا من نماذج التحليل السوسيولوجي ،  
يفوم على نوع من التأليف الممتاز بين أفكار مستمدة من الفلسفة ،  
والدراسات التاريخية ، والعلوم الاجتماعية ، وأنها شهدت تطورات  
لاحقة ، نتيجة التأويلات والتجديدات المستتيرة التي ظهرت بعد ذلك ،  
واستجابة الماركسين للهجوم النقدي ، وللمشكلات الجديدة التي طرحها  
تغير الظروف التاريخية •

وإذا أردنا أن نتخذ لنا نقطة بدء في التعرف على النظرية الماركسية:  
من هذه الزاوية ، فلعلنا نبدأ من أهم مفهوم أنطوت عليه هذه النظرية،  
ذلك هو مفهوم العمل الانساني Human Labor ، وهو  
مفهوم سوف يشهد تطورا أيضا من خلال عدد آخر من المفاهيم التي  
ارتبطت به في النسق النظري الذي صاغه ماركس • ولقد استمد  
ماركس فكرته الأساسية عن هذا المفهوم من أعمال هيجل ، أذ هو يقول :  
« ان الانجاز العظيم الذي قدمه هيجل في الفينو مينولوجيا هو ادراكه  
لقدرة الانسان على الخلق الذاتي بوصفها عملية ، ... ومن ثم استطاع  
أن يعرف طبيعة العمل ... وأن يتصور الانسان الموضوعي ... الذي  
هو نتاج للعمل الانساني الخاص » • لكن ماركس رغم اعجابه الشديد  
بفلسفة هيجل ، واعتماده على الاداة المنطقية لهذه الفلسفة. وهي  
الجدل ، كان ينكر على هيجل مثاليته ، ومن ثم حول مفهوم العمل  
الروحاني Spiritual Labor — في فلسفة هيجل — الى عمل  
يقع في سياق الانتاج المادي للحياة البشرية ، أى العمل كمصنر لثروة ،

وربما استقى هذا التصور للعمل من الاقتصاد السياسى • على أن مفهوم « العمل » على هذا النحو ، ليس مفهوما محدودا — كما ادعى البعض — بحدود الانتاج المادى ، وانما العمل هنا ينطوى على تصور أشمل يستوعب النشاط الانسانى برمته حينما يلتحم فيه الانتاج المادى بالانتاج الفكرى • فالانسان لا يفتج فحسب وسائل وجوده المادى ، ولكنه يخلق فى الوقت ذاته ، ومن خلال عملية فريدة ، شكلا كليا للمجتمع •

غير أن هذه الفكرة الاخيرة التى منحت مفهوم العمل الماركسى طابعا خاصا ، كانت مدعاة الى القول بأن تميز مفهوم العمل عند ماركس راجع أساسا الى المعنى الاقتصادى الذى انطوى عليه هذا المفهوم ( العلاقة المتبادلة والمتطورة بين الانسان والطبيعة ) ، وهو الذى ينظر اليه بوصفه أساس كل صور الحياة الاجتماعية • وعلى هذا النحو يمكن القول كما ذهب كارل كورش Karl Korsch أنه يجب النظر الى الماركسية باعتبارها اقتصادا سياسيا أكثر من كونها علم اجتماع ، لكننا مع ذلك نقول انه الى المدى — وهو بعيد — الذى اعتنى فيه ماركس بتحليل بنية المجتمع — بكل عناصرها ومكوناتها — فإن الماركسية تمثل وجهة نظر سوسيولوجية تمنح البعد الاقتصادى أهمية خاصة ، وتبرز دورة فى تشكيل الواقع الاجتماعى ، منطلقة من الحقيقة التى مؤداها ، أن المجتمع الانسانى داخل فى العالم الطبيعى ، وأنه ينبغى تحليل كافة الظواهر الاجتماعية فى سياق العلاقة المتغيرة تاريخيا بين المجتمع والطبيعة •

على أن ماركس لم يكتف بهذا التصور للعمل ، وانما طبق فكرته

العامة على مظاهر الشرور والالام التى ارتبطت بهذا المفهوم ، والتى تحدثت عنها النزعة الرومانسية الالمانية عند تناولها للاغتراب . اذ نلتقى فكرة الاغتراب بالمفهوم الاقتصادى الاجتماعى من خلال تحليل اغتراب العمل كما يقف عليه فى كتابات الاقتصاديين السياسيين . فاغتراب العمل شأنه شأن العمل ذاته ، هو فى رأى ماركس عملية Process ، لا تقع فى النطاق الفكرى والروحى الخالص ، ولكنها تتحقق فى عالم الوجود الفيزيقي للانسان ، والانتاج المادى . ان العمل المغترب هو ذلك الضرب من العمل الذى يفرض على الانسان بواسطة آخرين ، هو عمل اجبارى ، يتعارض مع النشاط الابتكارى الحر ، وهو فضلا عن ذلك نوع من العمل يستفيد فيه الآخرون من نتاج عمل العامل ، اولئك هم « سادة نظام الانتاج » الذين يمارسون كل ألوان الاستغلال .

ويؤكد توم بوتومور أنه من هذين المفهومين الأساسيين نستطيع أن نحدد عناصر نظريته الشاملة عن المجتمع ، فالعمل كنقطة بداية ، انما علينا أن ندركه بوصفه عملية تاريخية متطورة يستطيع الانسان خلالها ان يغير نفسه ، وأن يغير مجتمعه فى إطار تغييره للطبيعة . وهذا التصور يقودنا طبيعيا الى فكرة مراحل تطور العمل والانتاج ، التى تتميز خلال كل مراحل التاريخ ، بوجود اساليب نوعية للانتاج ، وصور مختلفة للمجتمع . يضاف الى ذلك أن هذه العملية التاريخية تنطوى على طابع تقدمى ، فالانسانية تتحرك من حالة الاعتماد المطلق على قوى ومصادر طبيعية معينة ، الى حالات أخرى تزداد فيها سيطرتها على الطبيعة ، وكلما ازدادت هذه السيطرة ، عبر ذلك عن « حقبات تقدمية فى التكوين الاقتصادى للمجتمع » وعن صور أعلى وأكثر رقيا للمجتمع .

ومع ذلك فهذا التطور للعمل الاجتماعي لا يظهر في شكل جهد جمعي تعاوني لتحصين القوى الانتاجية ، ومن ثم زيادة قبضة الانسان في السيطرة على الطبيعة ، ذلك أن فكرة العمل المغترب تطرح بالفعل انقسام المجتمع الى جماعتين رئيسيتين تحدد العلاقة بينهما الطابع العام للدياة الاقتصادية والسياسية . ولقد عبر ماركس عن هذه الفكرة في رأس المال ( المجلد الثالث ) بقوله : « انها دائما تلك العلاقة المباشرة بين سادة الظروف الانتاجية والمنتجين المباشرين ، التي تكشف عن الاساس الخفي للبناء الاجتماعي برمته ، ومن ثم تكشف عن الشكل السياسي للعلاقة بين السيادة والتبعية ، وبايجاز الشكل الخاص للدولة . وصورة هذه العلاقة بين السادة والمنتجين ترتبط عادة بمرحلة محددة في تطور أساليب العمل ، ومن ثم الانتاجية الاجتماعية للعمل » .

ويخلص بوتومور من ذلك الى أننا نستطيع في الكتابات المبكرة لماركس أن نقف على الخطوط العريضة لنظريته السوسيولوجية ، وهي التي تتضمن مفاهيمه الرئيسية عن العمل ، والملكية الخاصة ، وأسلوب الانتاج ، وأشكال المجتمع ، ومراحل النمو ، والطبقات الاجتماعية ، والصراع الطبقي ، وهي مفاهيم متضمنة في عرضه ، الذي قد يبدو متفرقا ، وان كان يكشف عن التطور الفعلي لفكر ماركس من خلال جدله مع الفلسفة الهيجلية والاقتصاد السياسي في محاولة لاعادة صياغة الافكار الفلسفية في شكل تصورات هي عناصر نظرية للمجتمع وصفها ماركس نفسه بانها « ثمرة تحليل واقعي خالص » . وجدير بالذكر ان مفهوم ماركس عن الطبقة الاجتماعية — مثلا — قد تطور في كتابات تتعلق الى حد كبير بدراسات البروليتاريا الحديثة ، التي طورها المفكرون الفرنسيون الاشتراكيون . وبحلول عام ١٨٤٥ ، كان ماركس

قد بلغ تطورا في افكاره تمكن معه من صياغة المبادئ الرئيسية لنظريته : « ان هذا التصور للتاريخ ، اذن ، انما يركز على عرض العملية الفعلية للانتاج ، التي تبدأ من الانتاج البسيط للدياة ، وعلى فهم أشكال التفاعل المرتبطة بهذا الاسلوب للانتاج والناشئة عنه ، مثال ذلك المجتمع المدني في مراحل المختلفة ، بوصفه اساسا للتاريخ ككل ، وأيضا في تحوله للدولة ... أنه لا يفسر الممارسة بالرجوع الى الفكرة ، وإنما يفسر تكوين الافكار من الممارسة الواقعية ، ومن ثم يصل الى النتيجة التي مؤداها ، أن كل صور الوعي ومنتجاته ، يمكن تحليلها لا من خلال النقد الفكري ، ولكن بالممارسة الفعلية للعلاقات الاجتماعية : تلك الممارسة التي تنشأ عنها ضروب من الافكار المثالية ، واذن فليس النقد هو القوة الدافعة للتاريخ وانما الثورة ... تلك التي تكشف ... خلال كل مرحلة تاريخية ... عن أن هناك نتاجا ماديا ، أى مجموعة من القوى المادية ، أو علاقة تاريخية بين الافراد والطبيعة ، وبينهم وبين بعضهم البعض ، وهذه العلاقة تنتقل من جيل الى آخر ، ... بحيث تخضع لتعديل من الجيل الجديد ، وتحدد له ظروف حياته ، وتمنحه شكلا خاصا للتطور ، أو طابعا متميزا . أنه لبيد أن الظروف تصنع الرجال ، تماما كما يصنع الجبال ظروفهم » ( الايديولوجية الالمانية ١٨٤٥ - ١٨٤٦ ) لقد ارتبط هذا الاطار النظرى باسم ماركس ، وهو يوصف بأنه ينطوى على الخطوط الموجهة لكافة دراساته اللاحقة إلا أن ثمة فقرة هامة تلخص أهم متضمنات نظرية ماركس نوردها على النحو التالى : « يدخل الناس خلال انتاج العلاقات الاجتماعية في علاقات محددة ضرورية ومستقلة عن ارادتهم ، وترتبط هذه العلاقات الانتاجية بمرحلة محددة من تطور قواهم المادية للانتاج . ويكون مجموع علاقات الانتاج البناء الاقتصادى للمجتمع — الاساس الحقيقى



الذى ينهض عليه البناء الفوقى القانونى والسياسى ، والذى ترتبط به صور معينة للوعى الاجتماعى • ويحدد اسلوب انتاج الحياة المادية الطابع العام لعمليات الحياة الاجتماعية ، والسياسية ، والروحية ... وخلال مرحلة معينة من التطور ، تدخل قوى الانتاج المادى فى المجتمع فى صراع مع علاقات الانتاج القائمة ، التى كانت تمثل التعبير القانونى لها - أو مع علاقات الملكية التى كانت تتسق معها فيما سبق ... ومن ثم تظهر حقبة الثورة الاجتماعية « ( مقدمة اسهام فى نقد الاقتصاد السياسى ١٨٥٩ ) •

ولقد تغير اتجاه ماركس بعد منتصف أربعينيات القرن الثامن عشر تغيرا ملحوظا ، اذ ذهب لويس التوسير L. Althusser الى أنه بحلول عام ١٨٤٥ ظهرت لفترة « استرخاء معرفى » فصلت بين الكتابات التى عبرت عن ماركس الشاب والتى عكست اهتماماته الانسانية والايديولوجية والتاريخية المثاثرة بأعمال هيجل وغيورباخ ، وبين أعمال ماركس فى مرحلة النضج التى تمثل محاولة منظمة لصياغة علم دقيق للمجتمع • ويبدو من أعمال ماركس الاساسية أنه وضع برنامجا ضخما يتسق مع وجهة النظر السابقة ، اذ هو يقرر من جديد تصوره للتطور التاريخى لاساليب الانتاج ، فحينما يلاحظ « أن كل الحقبات التاريخية للانتاج لها خصائص مشتركة » ، نجده يحلل العلاقة بين الانتاج ، والتوزيع ، والتبادل ، والاستهلاك ، ويفحص نهج الاقتصاد السياسى ويحدد عناصر منهجه الخاص • وأخيرا ، يقدم فى شكل مذكرات ، بعض المسائل الهامة التى يتعين مواجهتها فى أية محاولة للتدليل بطريقة

تفصيلية على الارتباط بين اساليب الانتاج ، واشكال المجتمع والدولة والظواهر الثقافية ، أو تفسير التطور التاريخي للمجتمعات في علاقته بمفهوم التقدم • وغضلا عن ذلك فإنه يكتب لمصلا مطولا عن التكوين الاقتصادي ما قبل الرأسمالي ، الذي يعد أكثر محاولات ماركس شمولا ومنهجية لمناقشة مشكلة التطور التاريخي •

ومن الواضح أن ماركس لم يكن قادرا على استكمال مشروعه الطموح ، وأن أعماله الاساسية منذ أواخر عام ١٨٥٠ حتى وفاته ، قد ركزت اساسا على التحليل الاقتصادي ، الذي ظل هو ذاته غير مكتمل ، ومحصورا في دراسة الرأسمالية بوصفها أسلوبا متميزا للانتاج • ومع ذلك ، فهو لم يتجاهل أبدا دراساته عن الاشكال التاريخية المتنوعة للمجتمع ، وخلال سنواته الاخيرة ( ما بين ١٨٨٠ — ١٨٨٢ ) كتب تعليقات شاملة حول أعمال الباحثين الذين تناولوا دراسة التاريخ الاجتماعي والثقافي للبشرية ، ومن بينهم مورجان L. H. Morgan ، وغير J. B. Phear . ومين H. S. Maine ، وجون لوبوك J. Lubbock . وهكذا فقد اتسمت دراسات ماركس في مرحلة نضوجه بمسئتين رئيسيتين : الاولى هي تطوير وتنقيح تحليله النظري لاساليب الانتاج من خلال الدراسة المركزة لاسلوب الانتاج الرأسمالي الحديث ، والفحص النقدي للنظريات التي صاغها اسلافه ومعاصريه في الاقتصاد السياسي ، والسمة الاخرى هي الجهد الذي بذله لوضع اسلوب الانتاج الرأسمالي والمجتمع الرأسمالي في اطار تاريخي للتنمية لاجتماعية ، تلك المحاولة التي لخصها في أعماله المبكرة ، ولكنه حاول تطويرها في كتاباته اللاحقة •

ولقد ناقش مارتن نيقولاس M. Nicolaus في مقال له التحليل الاقتصادي الذي طوره ماركس ، وذلك تحت عنوان « ماركس المجهول » . فكتشف عن تطور فكر ماركس حول ثلاثة قضايا رئيسية الاولى أنه طور تحليل النقود والتبادل الذي بدأه في كل المسودات الاقتصادية والفلسفية ، وصاغ تصورا للنقود بوصفها تمثل « رابطة اجتماعية Social Bond » ، تلك التي تعبر عن نتاج تاريخي للعلاقات الاجتماعية في المجتمع الرأسمالي ، ولكنه أخضع معالجة علاقات السوق لتحليله للانتاج الرأسمالي وعملية تراكم رأس المال ، أو التوسع الذاتي لرأس المال . وثانيا في تحليله لرأس المال استخدم المفهوم الجديد عن « قوة العمل Labour Power » ( بدلا من مصطلح « العمل » في كتاباته المبكرة ) لوصف السلعة التي يبيعها العامل في مقابل الاجر ، وأوضح النوعية المتميزة لهذه السلعة ، بمعنى أنها قادرة على خلق قيم غير قائمة بالفعل ، أو أنها قادرة على خلق قيم أكثر مما تحتاجه — أى أنها تخلق فائضا للقيمة ، هو مصدر الربح الرأسمالي . وأخيرا ناقش ماركس بتفصيل أكثر الظروف التي سوف تؤدي الى انهيار الرأسمالية . وهنا يبدو أنه أثار نوعين من العوامل ، الاولى سلبية ، والاخرى ايجابية . فقد ذهب ماركس في المجلد الاول ، الى أن الرأسمالية تتضمن معوقات محددة للانتاج — بحيث تتعارض مع اتجاه الرأسمالية العام نحو تحطيم كل معوقات الانتاج — تلك هي فائض الانتاج والذي يمثل التناقض الاساسي للرأسمالية المتطورة . ولقد حاول ماركس تشخيص هذا الانتاج الفائض بصورة مختلفة ولكن وجهة نظره يمكن تلخيصها في العبارة التالية : « أن هذه العملية تتضمن

تحديد أو تعقيد قيمة استخدام الانتاج بقيمة التبادل » ، ومعنى ذلك ، أن تحديد الانتاج يظهر لأن المنتجات ( السلع ) يتعذر تبادلها ، ومن ثم فإن ما تتضمنه من فائض للقيمة لا يتحقق . أو كما عبر ماركس عن ذلك في كتابه رأس المال الجلد الثالث ، « ان السبب النهائي لكل الازمات الحقيقية هو دائما فقر الجماهير وضعف مستوى استهلاكها ، في مقابل اتجاه الانتاج الرأسمالى الذى يطور القوى المنتجة بطريقة تجعل من القوة المطلقة للاستهلاك فى المجتمع هى القيد الوحيد لهذه القوى » . وهذا التحليل يقدم لنا المحتوى الاساسى للقضية العامة عند ماركس ، وهى التحول الى شكل جديد للمجتمع يبدأ حينما يتطور الصراع فى المجتمع القائم بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج ( التى تتشكل ، فى حالة المجتمع الرأسمالى ، بواسطة النقود والتبادل ، وبإيجاز ، عن طريقة السوق ) . لكن العامل الايجابى الثانى فى انهيار الرأسمالية هو أنها تخلق ، فى حالة نموها ، اموالا اقتصادية لا تتحقق فيها عملية العمل الاجتماعى بصورة جمعية الا بقدر محدود جدا . ولقد عبر ماركس فى بعض الفقرات الهامة عن هذه الحالة بقوله : « حينما تنمو الصناعات الكبرى يعتمد خلق الثروة الحقيقية على وقت العمل وكمية العمل أكثر من اعتماده على قوة الادوات التى تتحرك خلال وقت العمل ، والتى تكون فعاليتها بالمثل غير مرتبطة بوقت العمل مباشرة فى انتاجها ، ولكنها تستند الى الحالة العامة للعلم ولتقدم التكنولوجيا ، أو تطبيق العلم على الانتاج ... وعندما يحدث هذا التحول ، فإن ما سيبقى فى عملية الانتاج والثروة لن يكون هو العمل ، وانما ملائمة قواه الانتاجية العامة ، ولهمه وسيطرته على الطبيعة ، وبإيجاز تطور الفرد الاجتماعى ... ان تطور رأس المال الثابت يكشف عن المدى الذى تصبح فيه المعرفة الاجتماعية العامة قوة انتاجية مباشرة ، ومن ثم مدى

خضوع عمليات الحياة الاجتماعية لسيطرة العقل العام وتشكلها بواسطته » . ان انهيار الرأسمالية والتحول الى شكل جديد للمجتمع قد اعتبرها ماركس عملية معقدة تنطوي على أزمات اقتصادية ، وصراعات سياسية ، وغضلا عن ذلك فان النمو داخل الرأسمالية ، وتطور نسق اقتصادي بديل ، ثم اضعاف كل قوى العلم والطبيعة ، والتنظيم اجتماعي « تلعب دورا هاما .

واذن ، كيف يتلاءم تحليل ماركس للرأسمالية ، وبخاصة نمط الانتاج الرأسمالي ، الذي يمثل جزءا كبيرا من أعماله ، مع نظريته العامة عن المجتمع التي لخصها في شبابه ؟ وكما سبق أن أوضحنا ، لم تكن هناك أية مرحلة لم يشتغل فيها ماركس بالتطور التاريخي للمجتمع باعتباره يمثل عملية تتابع لاساليب متميزة للانتاج والتكوين الاجتماعي ، وقد عاد الى دراسة هذه القضايا التاريخية في مناقشته العامة للتكوينات الاقتصادية ما قبل الرأسمالية ، وفي كتاباته عن أسلوب الانتاج الاسوي ، وملاحظاته عن المجتمعات القبلية والريفية ، التي استندت الى دراساته عن أعمال مورجان ومين وغيرهما من العلماء الاجتماعيين الذين تناولوا دراسة التاريخ المبكر للنظم الاجتماعية . مع ملاحظة هامة : وهي أن ماركس يؤكد أن طبيعة العلاقات القائمة في المجتمعات المبكرة هي طبيعة قرواية أو دينية أو سياسية ، وهي لا تمثل تناقضا ، على حين أن طبيعة المجتمع الرأسمالي تفترض أن العلاقات الطبقيّة هي التعبير الاساسي عن التناقض بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج .

واذا كانت نظريات ماركس وأفكاره خلال حياته لم تنل اهتماما كبيرا ، فان هذه النظريات قد مارست بعد موته مباشرة تأثيرا فكريا وسياسيا كبيرا ، واتخذ هذا التأثير اتجاهاين اساسيين الاول هو

تأثيرها في حركة العمل ، والآخر تأثيرها في العلوم الاجتماعية . ومن خلال ذلك خضعت الماركسية لتعديلات وتطوير ، وبخاصة التحليل الماركسي للرأسمالية — ونذكر على سبيل المثال أعمال روزا لوكسمبرج — الذي عولج في ضوء التغيرات التي حدثت منذ موت ماركس ، وتفسير النمو المستمر للرأسمالية من خلال ظاهرة الامبريالية . وخلال العقد الاول من القرن العشرين ظهرت مدارس فكرية متنوعة داخل الحركة الاشتراكية نتيجة للمناقشات التي دارت حول تفسير نظرية ماركس ، ومحاولات اعادة صياغتها في ضوء الانتقادات الموجهة اليها ، وتطور الدراسات الامبريقية في علم الاجتماع والتاريخ الاجتماعي . وهكذا ، بحلول العقد الاول من القرن الحالي تأسست الماركسية بوصفها نظرية اجتماعية ، وعمقت جذورها في التجربة العملية لحركة الحزب الاشتراكي ، والمجال الاكاديمي حيث بدأت تتضح معالم حركة البحث الاجتماعي ذي التوجيه الماركسي . والمتتبع لاتجاهات النظرية السوسيولوجية المعاصرة يستطيع أن يتعرف على أبعاد التأثير الماركسي في هذه النظريات فقد تأثرت حركة البحث الاجتماعي في معهد فرانكفورت بها ، هذا فضلا عن تأثيرها في علم الاجتماع الالمانى منذ بدء تكوينه ، فمن المعروف أن أفضل قراءة لكتابات ماكس غيبر هي أن نطالع هذه الاعمال بوصفها حوارا وتعليقا حادا على المقولات الماركسية . وبالمثل ، فإن الكتابات المعاصرة في ميدان التنمية والتحديث لا يمكن فهمها بعيدا عن هذه المقولات ، ونخص بالذكر أعمال فرانك وبول باران وغيرهما .

## ( ٢ )

وبعد أن قدم لنا بوتومور عرضا واضحا ومحددا للماركسية —

خلال مراحل تطورها المختلفة — بوصفها نظرية اجتماعية تتضمن مفاهيم ومقولات سوسيولوجية ، وتستثير حركة البحث الاجتماعى . نستطيع الآن أن تقدم التحليل الذى ضمنه الفن جولدنر مؤلفه بعنوان الماركسيان ، حيث يبدو هذا التحليل مؤسسا على دراسات بوتومور ، ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن كتابات بوتومور عن الماركسية وعلم الاجتماع تشكل مقدمة منطقية ينبغى البدء بها قبل قراءة كتاب الفن جولدنر . اذ يركز جولدنر على تطور النظرية الماركسية من خلال دراسة التناقضات الداخلية فيها من جهة ، والانتقادات والعداءات الخارجية لها من جهة أخرى . وأهم ما يبرزه من تناقضات هو التناقض بين ما يطلق عليه « الماركسية العلمية » فى سعيها ندو اكتشاف القوانين الحتمية ، و « الماركسية النقدية » حين تنهض على فلسفة للممارسة من ناحية ، وعلى فن نقدى من ناحية أخرى .

وقد نظر جولدنر الى تطور الماركسية خلال ثلاث مراحل رئيسية ، أما المرحلة الاولى فهى مرحلة البداية والتأسيس ، وفيها اتجه الرواد المؤسسون نحو تحديد طبيعة النظرية وتمييزها عن الاتجاهات الاخرى ، وأما المرحلة الثانية فهى المرحلة التى شهدت تطورات جديدة ، وصراعات بين الجديد والقديم ، ثم المرحلة الثالثة والتى لوحظ فيها ان النظرية اتخذت شكل النموذج Paradigm مرة وينهبدع دخلت النظرية فى نقاش وحوار مع كثير من الافكار التى ظهرت خلال المرحلة الثانية ، وهى الافكار المعارضة لتى تركزت معظمها حول دور الدولة ، وطابع نمط الانتاج الآسيوى بواعيدت من جديد مسألة التعارض بين فكرة الدولة وبين التحرر الانسانى ، كما شهدت أيضا مراجعة لافكار انجلز بالذات ، والفروق بينه وبين ماركس .

ويؤكد جولدنر أن دراسة الماركسية تمثل مطلباً حاسماً في هذا العصر الذى نعيشه ، اذ يمكن القول ان أكثر من ثلث سكان العالم يعيشون فى دول وتحت سيطرة نظم تصف نفسها بأنها نظم ماركسية ، هذا فضلاً عن ان فهم الثورات التى يشهدها العالم المعاصر أمر متعذر بدون دراسة الماركسية ، ولهذا فان الماركسية تمثل أحد المداخل الرئيسية لفهم عالمنا المعاصر ، وهى ولا شك تتفاعل مع البيئة التى تعيش فيها باعتبارها جزءاً من هذه البيئة ، ولكنه جزء هام وحيوى ، وبدون فهمه يتعذر فهم الاحداث الكبرى لهذا العصر .

فى ضوء ذلك يحدد جولدنر معالم النقد الذى يطرحه للماركسية ، فهو نقد يبحث عن العقلانية فى الفكر الماركسى ، وينظر الى هذه النظرية بوصفها نتاجاً انسانياً ، خلقت ظروف تاريخية معينة ، أنه نقد يبحث عن حدود هذه النظرية بدرجة لا تقل عن بحثه فى انجازاتها . ونقد النظرية هو عمل ايجابى بكل معانى هذه الكلمة ، لأنه يعنى قراءة النص من خلال حوار ينعقد بين هذا النص وبين تيارات فكرية أخرى عديدة ، فمن المسلم به ان الانسان الذى ينطوى عليها أى نص لا يمكن أن تقتصر فهمه على ما يجرى فى عقل كاتب هذا النص ، وهذا هو ما تعنيه عملية تأويل النصوص واعادة تفسيرها فالنظرية تحمل رسالة ، لا نشك مطلقاً فى أن مؤلف هذه النظرية يعلم تماماً جوانب الرسالة ، ولكن دائماً ما تكون هناك جوانب أخرى يمكن اكتشافها بواسطة عملية التأويل التى يقوم بها المفكرون والنقاد . وهذا اللون من النقد لا يعزل النظرية عن السياق الذى ظهرت فيه ، ولا ينظر اليها بوصفها حدثاً فريداً ليست له أية مقدمات ، أننا هنا سوف نهتم ببحث الماركسية من خلال وضعها جنباً الى جنب مع الانجازات الأخرى والظروف والحاجات الانسانية



التي ارتبطت بها خلال الحقبة التاريخية التي شهدت ظهورها . وربما لا يجد هذا النوع من التحليل قبولا من بعض الماركسيين من أمثال لويس التوسير L. Althusser الذي ذهب الى حد القول بأن « الاكتشاف الذي قدمه ماركس يعد أعظم حدث في تاريخ المعرفة الانسانية ، منذ ظهور الرياضيات في اليونان » . ولكن الزعم أن النظرية قد نشأت نتيجة لضغط الحاجات الانسانية ، يدعونا الى الاجابة عن التساؤل الهام الذي مؤداه ، حاجات من ؟ حاجات أية جماعة انسانية ؟ وما هي مواصفات هذه الجماعة ؟ ان الاجابة التي يقدمها لنا الفكر الماركسي على ذلك هي « ان الماركسية تعبر عن وعي الطبقة العاملة » ، ومن ثم فإن « الوعي يتحدد من خلال الوجود الاجتماعي » ، وهذا ولا شك يدعونا الى فحص الاساس الطبقي للماركسية ، وهو فحص يدخلنا الى صميم البناء الاجتماعي الذي ساد خلال الفترة التاريخية التي ظهرت فيها الماركسية وفي الوقت ذاته ، علينا أن نفكر في اولئك الاشخاص الذين صاغوا هذه النظرية ( ماركس وانجلز ) ، فهم بالطبع لا يرتبطون بالسياق الاجتماعي ارتباطا سلبيا أو متناغما تماما مع هذا السياق ، وانما هم يقومون بهذا العمل النظري من خلال صراع مع هذا السياق وثقافته وتقاليده السائدة . وهذا ما حدث بالفعل حينما حددت الماركسية معالم الفروق بينها وبين التيارات الفكرية التي تأثرت بها ، مثل فلسفة هيغل المثالية ، والاقتصاد السياسي الانجليزي ، وبعض جوانب الذوق العام كالدين والايديولوجيات السياسية وغيرها . وهكذا ، فإن فهم الماركسية لا يتطلب فحسب فهم الاصول الفكرية التي نبعت عنها ، وانما يحتاج أيضا الى فهم الاتجاهات المعارضة لها ، والتي حاولت ان تتميز عنها .

فكل عمل نظري جديد لا يمثل اضافة الى بناء قائم فقط ، وانما ينطوى كذلك على حذف لبعض عناصر هذا البناء .

واذا كانت فكرة النقد تتضمن تركيزا على سياق النص موضع النقد، وذلك من حيث أصوله التاريخية والفنية ، فانها أيضا تنظر الى النصوص ذاتها على أنها تجسد تناقضاتها الداخلية ، وادراك هذه التناقضات يعد مدخلا هاما لفهم الوضع الراهن للماركسية وتطوراتها المستقبلية . والحديث عن الماركسية بهذا النحو ، انما يعنى أنها أكثر من مجرد نسق نظري ، ينطوى على مجموعة من القضايا ، انها عالم منظم من الافكار الثورية . ومن ثم فان النقد يرتكز على محورين ، الاول بنائى يهدف الى الكشف عن العناصر المتعارضة ، والاخر دينامى يبحث فى نتائج هذا التعارض .

وهكذا ، حدد الفن جولدنر أبعاد تحليله النقدي للماركسيستان ، الماركسية العلمية فى سعيها نحو اقامة نظرية عن المجتمع ، والماركسية النقدية الفلسفية ، واستطاع من خلال هذه التفرقة أن يكشف عن الظروف التاريخية والمجتمعية التى صاحبت نشأة الاتجاهين ، ومبلغ اسهامهما فى فهم العالم الاجتماعى . ومع ذلك ، فالخط الفاصل بين هذين الاتجاهين ليس قاطعا تماما ، بمعنى أن هناك تبادلا للافكار والمواقف بين الماركسيين الذين ينتمون الى كل من هذين الاتجاهين . الا ان الحقيقة التى اراد جولدنر أن يكشف عنها هى ان وجود هذين التيارين داخل الماركسية هو أحد مصادر التوتر الداخلى والجدل ، الذى يعد عاملا رئيسيا من عوامل تطور النظرية ككل ، خاصة اذا أخذنا فى الاعتبار العداءات الخارجى والنقد الذى وجه اليها من النظريات الاخرى .

ان الافكار السابقة توجهنا نحو قراءة كتاب بوتومور الذى نقدم له الآن ، وقد تزودنا بحصيلة من المعرفة حول بناء الماركسية بوصفها علما اجتماعيا ، وحول الاطار النقدى الذى يمكن أن يستند اليه تحليل هذا النسق الفكرى أو « العالم الثورى » الذى نطلق عليه مصطلح الماركسية . ولقد عالج بوتومور كل هذه الافكار معالجة مستفيضة ، وبلغة واضحة تماما ، تكشف عن وضوح تام فى الفكر تميزت به فى الواقع كل كتابات الاستاذ توم بوتومور ، التى قامت سلسلة علم الاجتماع المعاصر بنشرها .

وقد عالج بوتومور قضايا علم الاجتماع الماركسى عبر خمسة فصول ، الفصل الاول بعنوان مقدمة طرح فيه منهجه فى معالجة علم الاجتماع الماركسى ، ذلك المنهج الذى لا يقوم على مجرد ترديد مقولات هذا العلم وموضوعاته ، وانما يهتم أساسا بالتفسيرات والمعالجات اللاحقة التى قدمها الكتاب الماركسيون ، والتى أدت بهم الى تبني مواقف سوسيولوجية بعينها ، ونقد مواقف أخرى . وأما الفصل الثانى فقد خصصه لعرض الماركسية بوصفها نظرية اجتماعية وأوضح فيه المبررات التى جعلت من الماركسية نظرية فى علم الاجتماع لها قضاياها ومنهجها واهتماماتها البحثية . ونجد فى الفصل الثالث نقيض هذه القضية ، اذ كرس هذا الفصل لعرض المواقف الراضية للماركسية بوصفها علم اجتماع ، ومن ثم جعل عنوان هذا الفصل الماركسية ورفض علم الاجتماع . وفى الفصل الرابع ناقش العلاقة بين النظرية والممارسة فى الفكر الماركسى ، تلك العلاقة التى تحتل مكانة مركزية فى هذا الفكر . أما الفصل الاخير بعنوان علم الاجتماع الماركسى وعلوم الاجتماع

الآخري فقد كشف عن قدرة تأليفية عالية عند مؤلف هذا الكتاب حيث ناقش فيه الماركسية بوصفها نظرة للعالم في صلتها بمختلف انساق الفكر السوسيولوجي الآخري •

هذا وقد انقسم العمل خلال ترجمة فصول هذا الكتاب ، بحيث تولى الدكتور محمد علي محمد ترجمة الفصلين الرابع والخامس ، والدكتور علي عبد الرازق جلبي الفصول الاول والثاني والثالث •

ان هذا الكتاب رغم صغر حجمه ، ينطوى على فكر واضح ، ومعالجة عصرية ، ومناقشات ودجج تكشف عن أعلى درجات الفهم والاتساق المنطقي • وهذه هي الاسباب التي دفعتنا الى نقله الى اللغة العربية ، لكي يساهم مع رفاقه من المؤلفات التي قدمتها سلسلة علم الاجتماع المعاصر ، في اثراء حركة الفكر والبحث السوسيولوجي في العالم العربي •



# الفصل الأول

## مقدمة



## المقدمة

يقال ان الحسوار الذى دار حول علم الاجتماع الماركسى والذى استمر لمدة طويلة قد بدأ فى الواقع مع ماركس نفسه ، وهذا ما ظهر فى تلك الفقرات القليلة ، والتي حاول فيها ان يوضح أهداف ومنهج دراساته الخاصة بولم يظهر فى اشاراته الاتفاقية واللامبالية الى كومت .

ولم تكن انتقادات ماركس لكومت ولكثير من تلاميذه فى فرنسا وانجلترا موجهة نحو ما كان يرمى اليه كومت من بناء علم اجتماعى عام أو نحو صياغته لقوانين تاريخية (ونعنى نحو نزعتة الوضعية)<sup>(١)</sup> ، وانما كانت هذه الانتقادات موجهة نحو المذاهب السياسية التي اشتقت عنها . وكان الاسهام الذى قدمه كومت ، على حد تعبير ماركس ، بأئسا بالمقارنة باسهام هيجل . وهذه المقارنة فى ذاتها تعد مفيدة ،

---

(١) سوف استخدم مصطلح الوضعية على طول هذه الدراسة بالمعنى اللبالح العمومية الذى يميز تلك الدخل فى العلوم الاجتماعية والذي يعتبر ما على نفس مستوى العلوم الطبيعية فى اساسها ولنها تهحف الى صياغة قولنين على عامة ، وتقيم ادعاءاتها على المعرفة للصابقة وعلى تحليل للواقع الامبيريقى ، وليس على لالحس للفلسفى ، وهكذا فانها تؤكد وحدة المنهج العلمى ، وقضج تمييزا حادا بين القضايا العلمية ولحكام للقيمة . وهناك تفسيرات عامة ومفيدة فى :

D. G. Charlton, *Positivist Thought in France during the Second Empire, 1852 — 1870* — ( Oxford : Clarendon Press, 1959 ) .

and Leszek Kolakowski, *Positivist Philosophy* (Harmondsworth - the Penguin, 1972 ) .



ذلك لان العنصر الرئيسى فى نظرية كومت الذى لم يكن ماركس متعاطفا معه على وجه الخصوص ، هو قانون المراحل الثلاثة الذى يفسر التغير التاريخى فى ضوء تطور الفكر ، وهو من هذه الناحية يشبه فلسفة التاريخ عند هيجل .

وفى مناسبة اخرى ، عندما كان ماركس يشير الى أفكار (بيسلى) E. S. Beesly ، الانجليزى الوضعى ، علق ماركس على الوضعية قائلا : « انها تتساوى مع تجاهل كل شىء وضعى » ، وينبغى ايضا ان نفهم هذا التعليق على انه نقد لذلك الميل الواضح بين الوضعيين اتباع كومت نسبو تأكيد العوامل الفكرية والاخلاقية اكثر من الاهتمام بالتغيرات الاقتصادية والعلاقات الطبقيّة فى عملية التطور الاجتماعى .

ومن الواضح ان ماركس كان يعتبر نظريته الاجتماعية اكثر ارتباطا بالعلم الوضعى من وضعية كومت ذاتها ، وان هذا الجانب من فكره كان قد تبلور بوضوح منذ مدة طويلة قبل ان يطلع على كتابات كومت . ولقد استنتجنا ذلك ، فى الحقيقة ، من نفس المصدر الذى اشتق عنه كومت افكاره ووجهات نظره ، ونعنى من كتابات سان سيمون ، ولقد وجدت هذه الفكرة ما يعضدها بعد ذلك استنادا الى معالم العلم الاجتماعى الجديد الذى قدمه لورنس فون شتين L. Von Stein فى الطبعة الاولى من كتابه عام (١٨٤٢) عن الحركة الاجتماعية فى فرنسا ، والذى درس فيه المفكرين الاشتراكيين الفرنسيين .

ولكن هناك جانب آخر فى فكر ماركس ، قد أخذ من كتابات كانط وفيشته وهيجل . ولم تكن المشكلة الاساسية فى اطار هذه الافكار هى بلورة ذلك العلم الذى يمكن ان يقدم تفسيراً عليا دقيقاً للاحداث

الاجتماعية ، وانما كانت المشكلة تتمثل في كيفية التغلب على عملية الفصل بين ما هو « كائن » وبين « ما ينبغي ان يكون » ذلك الفصل الذي كان كانط قد اقامه وجاعت الوضعية لتحاول اعادة تأكيده ، بهدف بناء نظرية للاخلاق والسياسة ، فيصبح من الممكن حدوث التدخل الغلمي في سير الحياة الاجتماعية استنادا الى شئ ما غير الهوى او النزوة الذاتية . وظل ماركس يناضل بخصوص هذه المشكلة ، « وكيف يجد الفكرة في العالم الواقعي ذاته » حتى توصل الى نقطة التحول الحاسمة في فكره مع اكتشافه لمفهوم « البروليتاريا » ، والتي كانت في نفس الوقت نتاجا ضروريا للمجتمع الرأسمالي الحديث وتجسيدا أو تمثيلا لمثال سياسي واخلاقي جديد في العالم الواقعي .

وكان ماركس في هذا التصور للبروليتاريا كطبقة ثورية ، وعموما في نظريته لدور الطبقات الاجتماعية في التطور التاريخي للمجتمع ، كان قادرا على ان يجمع بين هذين الجانبين في فكرة معا — الوضعي واليهجى — ولكن من الواضح على الاطلاق انه قد جمع بينهما على نحو متكامل في التصور المنهجي لطبيعة العلم الاجتماعي انعام ، اكثر مما قد وضعهما الى جانب بعضهما في سياق تاريخي محدد من النوع الذي يخفى مشكلة التعارض ما بين التفسير والتقييم . ولم يقدم ماركس ابدا عرضا لجموعة مناهجه بنفس الاسلوب الذي قدم به « دور كايم » مناهجه في كتابه « قواعد المنهج في علم الاجتماع » ، او في مقال مطول مثل الذي كتبه ( غيير ) عن الموضوعية في العلم الاجتماعي والسياسة الاجتماعية ، ولم تحظ كتاباته بأى اهتمام نقدي واسع خلال حياته ، على نحو كان يمكن ان يقوده الى الدفاع عن نظريته بطريقة متسقة . وهذا ما كان كروس Croce ، قد لاحظته مرة .. « ان المادية التاريخية لم تظهر بوضوح في كتاب محدد وأساسى . ومن ثم ، كن

ينبغي إعادة بناء وجهات النظر المنهجية للماركس — في علاقاتها بهذين الجانبين أو الخطين في فكره والذين ميزناهما سلفا — من تعليقات متناثرة وجزئية « ولقد اتاح هذا الفرصة لظهور مجموعة متباينة وهائلة من التفسيرات المتلاحقة ».

وسوف لا اهتم في هذه الدراسة الراهنة مباشرة بمجموعة مناهج ماركس<sup>(٢)</sup> ، ولكن سأهتم اساسا بتغيرات الكتاب الماركسيين الذين جاءوا فيما بعد ، والتي ادت بهم الى الدفاع عن مجموعة قضايا سوسيولوجية معينة ، وإلى نقد نظريات سوسيولوجية أخرى ، او الى التساؤل بطريقة عامة عن وضع علم الاجتماع كعلم للمجتمع .

ومن اجل هذا الهدف من الضروري ان نقرر كنقطة انطلاق ، ان تصورات ماركس كانت قادرة على ان تمهد لظهور علم اجتماع وضعى بالمعنى الواسع — هذا في اتجاه — وان تقدم — في الاتجاه الآخر — اسلوبا في التفكير قد اشير اليه عموما باعتباره فلسفة نقدية ، وان هذه الاحتمالات توجد جنبا الى جنب في فكره منذ البداية ، حتى ولو ان التأكيد في كتاباته الاولى قد ظهر على انه يتجه اكثر نحو الهيكلية ، ثم أخذ يتجه أكثر نحو الوضعية في كتاباته الاخيرة<sup>(٣)</sup> .

ويمكن لمجرد توضيح هذا الاختلاف ان نقارن بين القضايا التي

---

(٢) أمل أن أقوم بنشر نقد عام لوجهات نظر ماركس المنهجية ، والتي سأقوم فيها بفحص كامل — أكثر مما لقمه هنا — للعلاقة بين فكر ماركس وبين الوضعية والامبيريقية والمشكلة الكلية المتعلقة بالعلم للطبيعي للمجتمع .

(٣) ومن ثم يمكن ان نقرر ، ان الاسهام المحدد للماركس كان يتمثل في تحويل هذا الفكر ( للتصور للفعال للممارسة للذي بلوره صغار الهيكليين ) الى نظرية للعمل او للسلوك والتي نشأ عنها في السنوات الاخيرة علم الاجتماع للحمسى ،

=

اثارها ماركس في مؤلفه عن فيورباخ Theses on Feuerbach والتي تتعلق بفشل فيورباخ في ادراك أهمية النشاط الثوري النقدي والممارسة ، وتلك التي تتصل بالفهم الرشيد للتلازم ما بين الظروف المتغيرة والنشاط الانساني او تغيير الذات كعمل ثوري ، وكذلك تلك القضايا المتعلقة بالحاجة الى تغير العالم ، بمثل الحاجة الى تفسيره ، او بدلا منها . ونقارن بين هذه القضايا وما ذكره ووافق عليه ماركس في مقدمة الطبعة الالمانية الثانية من كتابه رأس المال ، الجزء الأول ، والذي يعد واحدا من العروض القليلة الجادة لاعماله ، حيث نظر ماركس الى الحركة الاجتماعية باعتبارها نتيجة طبيعية للظواهر التاريخية ، تحكمها القوانين التي لم تكن فقط مستقلة عن ارادة ووعي واهداف البشر ، وانما هي على العكس ، تحدد اهدافهم ووعيهم واختيارهم — وعلق ماركس على هذا قائلا « ان الذي عرض هذا الكتاب كان يصف المنهج الذي قد استخدمته بالفعل وهو المنهج الجدلي » . ولكن علينا ان نذكر هنا ان ماركس في كتاباته الاولى قد انتهى فعلا من صياغة الفكرة المتعلقة بالعلم الوضعي للمجتمع عندما كتب في المسودات الفلسفية والاقتصادية ( ١٨٤٤ ) :

« ان العلم الطبيعي سوف يندمج يوما ما مع علم الانسان ، كما

---

G. Lichtheim, From Marx to Hegel ( London : Orbach & Chambers, 1971) . P. 14.

ولقد تبني معلقون آخرون ، وجهة نظر قريبة من وجهة النظر التي اذللح عنها هنا ، والتي مؤداها ان فكرة علم الاجتماع للعلمي كانت موجودة دائما في فكر ماركس . انظر مثلا : مناقشة للبرشت ويلمر Albrecht wellmer للنزعة للوضعية للكامنة عند ماركس ، في كتابه المعنون :

Critical Theory of Society

وسوف للخص فيما بعد نوع للحوار للذي لادله وليلمر وآخرون عن للنظرية للنقحية .

سوف يندمج علم الانسان مع العلم الطبيعى ، وعندئذ سوف يوجد هناك علم واحد • او ان العلوم الطبيعية سوف تصبح اساس العلم الانسانى ••

وفى كتابه الايديولوجية الالمانية ( ١٨٤٥ ) ، يذكر انه حينما ينتهى التأمل — فى الحياة الواقعية — يبدأ العلم الوضعى الحقيقى فى تصويره لعملية تطور البشرية • ومن ناحية اخرى ، لا يزال يوجد فى كتابات ماركس المتأخرة — برغم ظهور علم الاجتماع الحتمى بوضوح — والاعتراف بحدية الانسان وقدرته على الابداع وهكذا قدرته على التدخل بوعى وعن عمد فى تغيير سير الحياة الاجتماعية ، فى فقرات كثيرة مثلاً من مقاله عن : Grundrisse ( ١٨٥٧ — ٨ ) حول تطور الفرد الانسانى الغنى والاكثر تمايزا فى المجتمع الحديث والذى عليه عندئذ ان يناضل ضد القيسود التى تفرض عليه من جانب النسق الاجتماعى الرأسمالى ، وكذلك فى مقدمة مقاله عن : Enquete Ouvriere ( ١٨٨٠ ) ، والذى يحث فيه العمال الصناعيين على ان يقوموا بعمل من شأنه ان يعالج الامراض الاجتماعية التى يعانون منها •

ولتحقيق هذين المطلبين — العلم والثورة — تشكل تاريخ الفكر الماركسى خلال القرن الماضى ، كما حدث وتطور هذا الفكر فى خضم التغيرات السياسية والاقتصادية العميقة ، وفى بيئة فكرية قد تأثرت الى حد كبير بالنمو المترف للعلوم الاجتماعية • ولكن لن اغنى هنا بفحص هذا السياق الواسع ، وانما سأغنى من الان فصاعدا بتاريخ الأفكار او بالتفصيل السوسيولوجى للفكر الماركسى<sup>(٤)</sup> • وسوف يكون هدفى اولاً :

---

(٤) ولزيد من للدراسات حول هذه القضايا ، يستطيع القارئ للرجوع = الى كتابات :

الكشف عن الاسس النظرية لمحاولات تشكيل الماركسية كنسق فى علم الاجتماع ، وثانيا وزن الانتقادات التى وجهت ضد هذه المحاولات من منظور اولئك المفكرين الذين نظروا الى الماركسية باعتبارها وجهة نظر فلسفية للعالم او فلسفة نقدية للتاريخ — تلك الانتقادات التى تحولت الى مناقشات تعارض الرغبة فى أى علم اجتماع وضعى او امكانية وجوده . ولقد انعكست هذه الموجات للخلاف والجدل على قضية العلاقة بين النظرية الاجتماعية والممارسة الاجتماعية ، ولذلك يمكن التعرف بدقة على السمات المميزة لوجهات النظر المتعارضة من خلال معالجة هذه القضية ، والتى قد اصبحت اكثر من مرة محورا للمناقشات المنهجية بين علماء الاجتماع . وفى النهاية ، سوف اوضح الى أى حد وبأى اسلوب ، قد تحقق التقدم فى تحليل الاطار النظامى والاتجاهات الرئيسية للتطور فى المجتمعات الحديثة ، او يمكن ان يتحقق هذا التقدم الآن ، بفضل استخدام المفاهيم الماركسية او ما يطلق عليه اسم المنهج الماركسى .

---

= ستيولرت هيوجز

Consciousness and Society (London : Macgibbon & Kee, 1959),  
خصوصا للفصل الثالث وجورج ليشتهائم  
Marxism : An Historical and Critical Study, (London : Routledge  
& Kegan Paul, 1961 ) ,

يجد للقارئ معالجة شاملة للمدرسة الماركسية فى مارتين جاى  
The Dialectical Imagination : A History of the Frankfurt School  
and the Institute of Social Research, 1923 — 1950 (Boston :  
Little, Brown. 1973) .



## الفصل الثانى

الماركسية نسق نظرى فى علم الاجتماع





## الماركسية نسق نظري في علم الاجتماع

لقد نمت الماركسية اساسا في صورة علم للمجتمع ، وذلك خلال الفترة منذ وفاة ماركس في عام ١٨٨٣ حتى قيام الحرب العالمية الاولى . ولقد افصح انجلز قبل اى شخص غيره ، عن هذا الفهم (برغم انه يمكن ان يجد ما يؤكد ذلك في وجهات نظر ماركس الخاصة ، كما اشرت ) ، وكذلك عبر عنه بوضوح في خطبته التي القاها بمناسبة تأبين كارل ماركس ، وذلك عندما قال « انه كما اكتشف داروين قوانين تطور الطبيعة العضوية ، فان ماركس قد اكتشف قوانين تطور التاريخ الانساني » ، ثم اصبح التعديل الذي ادخله انجلز على النظرية ، يأخذ عنوان الاشتراكية العلمية — والذي كان كوتسكي قد وافق عليه — باعتبارها مذهب الديموقراطية الاجتماعية الالمانية ، والمجموعة الدولية النازية .

وقدمت الماركسية طبقا لهذا التصور — في ضوء التغيرات في اسلوب الانتاج وتكوين الطبقات والصراع بينها — تفسيراً عليا للتطور التاريخي للمجتمعات الانسانية ، ولأصول وتطور الرأسمالية الحديثة على وجه الخصوص ، والتي امكن التعبير عنها في صورة « قوانين » تاريخية . وامكن ايضا في ذلك الوقت الاستنباط من هذه القوانين عملية الانهيار الضروري للرأسمالية والتحول الى الاشتراكية . وكان للماركسية استنادا الى هذا المظهر كعلم وضعي ، اثرها على علم الاجتماع في اثناء مراحل تكوينه ، والذي كانت قد ظهرت به كنسق في علم الاجتماع — بمعنى علم عام وشامل للمجتمع — واثارت ردود فعل كبار المفكرين في علم الاجتماع وتمت الاستعانة بهذا النسق بدوره في

تقديرات علم الاجتماع النقدية لأفكاره . وظهرت الماركسية وغيرها من نظريات علم الاجتماع باعتبارها أطرافاً في التفكير متصارعة ، تتنازع على نفس الميدان .

ولقد دافع العديد من المشاركين في أول مؤتمر دولي لعلم الاجتماع عام ١٨٩٤ عن النظرية الماركسية «١» ، وكرس جانبا كبيرا من المؤتمر التالي عام ١٩٠٠ لمناقشة المادية التاريخية «٢» . ونشر سوريل Sorel في نفس الفترة مقالا نقديا مطولا يتناول علم الاجتماع عند دور كايم «٣» ، بينما ظهر في إيطاليا العرض الذي قدمه لابرولي Labriola للمادية التاريخية «٤» ، وكذلك مقالات كروس

---

Annales de L'Institut International de Sociologie (Paris (١)  
- Giord- - et Briere, 1895) .

ولقد من مراسلي Enrico Ferri نشر كتابا بعنوان :  
Socialism and Positive science ( Darwin — spencer — Marx )  
(Rome, 1894, English trans, Independent Labour Party 1906).  
والذي لجأ فيه إلى الانتظام بأن « الماركسية الاشتراكية — هي النوع  
الوحيد ذو النهج للوضعي والقيمة العلمية ٠٠٠ لذا كانت فقط مثمرة وعلمية  
تماما في الحياة الاجتماعية ولتلك الثورة العلمية الحديثة ٠٠٠ وافتتحت للعديد  
من المركز المتخلفة عن طريق نعاش النهج التجريبي في كل فروع المعرفة  
الإنسانية » .

Annales, VIII ( Paris - Giardet Briere, 1902 ) . (٢)

G. Sorel, Les Theories de E. Durkheim : (٣)

Devenir Social, ( April - May 1895 ) .

هذه المجلة، التي أسسها سوريل وكتب فيها أثناء تولده للتصير من عام ١٨٩٥ إلى عام ١٨٩٨ ، نشرت مقالات لبعض القادة الأوربيين الماركسيين ودارسي الفكر الماركسي ، بما فيهم لينجز وكوتسكي وبلوخونوف ولبريول وكروس ، وفي أحد أجزاءها ناقشت الكثير من المؤلفات الحديثة لم علم الاجتماع والتاريخ الاجتماعي .

Antonio labriola, Del materialismo storico (٤)

وترجمت إلى الإنجليزية تحت عنوان

Essays on the Materialistic Conception of History.

( Chicago - Charles kerr, 1908 ) .

Croce عن النظرية الماركسية<sup>(٥)</sup> ، وتميزت المقالات الأخيرة خاصة بما اثارته من تساؤلات نقدية حول تصور الماركسية باعتبارها نظرية علمية . ويمكن ايضا ان ندرك الاهمية المتزايدة للماركسية بالنسبة لتطور علم الاجتماع ، وذلك فى اعمال كبار المفكرين فى هذا العلم . فلقد استند فرديناند تونيس Tonnies فى مؤلفه عن المجتمع المحلى والرابطة عام ١٨٨٧ بشدة على تحليل ماركس للمجتمع الرأسمالى . وكان ماكس فيبر ، فى جانب كبير من اعماله مشغولا بالواجهة النقدية للفكر الماركسى ، وفى صياغته للتفسير البديل لاصول الرأسمالية الحديثة ، وفى تقييمه للمكانة المنهجية للتفسير الاقتصادى للتاريخ ، وفى علم الاجتماع الدينى ، الذى وضعه على انه نقد موضوعى للتصور المادى للتاريخ<sup>(٦)</sup> وقدم باريتو Pareto فى مؤلفه عن Systemes Socialistes تحليلا منسقا للنظرية الماركسية ، والتى كان قد جردها من عناصر مثل فكرة الصراع الطبقي ثم قام بادماجها فيما بعد ، ولكن بشكل مغاير فى نسقته الفكرى الخاص فى علم الاجتماع . وخصص دور كايم جانبا لا بأس به من العدد الاول لدولية علم الاجتماع Annee Sociologique ليقدم عروضاً لعدد من الاعمال الماركسية ، ( بما فيها عرضه الخاص لكتاب جروس Grosse

---

(٥) كتبت بين عامى ١٨٩٥ و ١٨٩٩ ونشرت فى مجلد تحت عنوان  
Materialismo storico ed economia marxistica,  
وترجم للانجليزية فى جزء كتبه ليندس بعنوان  
Historical Materialism and the Economics of karl Marx  
( london : - Howard Lotimer, 1913 ) .  
(٦) للتعرف على العلاقة بين ماركس وفيبر ، انظر على وجه الخصوص  
كتاب كارل لويس  
Max Weber und Karl Marx, (1932)  
الذى يعتبر سببا لظهوره فى الترجمة الانجليزية باختصار .

عن أشكال الاسرة والاقتصاد) ، ومع انه قد أعقب ذلك ندرة الإشارة الى الكتابات الماركسية ، وفي أثناء محاضراته عن الاشتراكية — والتي تخلى عنها قبل أن يصل الى النقطة التي يجب عندها فحص نظرية ماركس — ظهرت هناك بعض التلميحات التي تدل على أن دور كايم قد أدرك عمق العلاقة بين الماركسية وعلم الاجتماع ، وهكذا تخيل على نحو غير مباشر أن المفكرين الماركسيين هم أعداؤه الاساسيين . ولقد اكتسبت ( الاشتراكية ) في الوقت الحديث طابعا علميا مدددا . ومن المحقق انها بذلك ربما قد ساعدت العلم الاجتماعي أكثر مما ساعدته . ذلك انها أثارت التأمل ، وحفزت النشاط العلمي ، ودعت الى البحث بوطرحت مشكلات ، الى ذلك الحد الذي اندمج فيه تاريخ الاشتراكية في أكثر من جانب واحد بتاريخ علم الاجتماع<sup>(٧)</sup> .

ولكن الماركسية الذي نظر اليها باعتبارها نظرية علمية حول التطور الاجتماعي قد واجهت نوعين رئيسيين من الصعوبات ، كان قد ذكرهما النقاد ، وأصبحت موضع جدل بين الماركسيين أنفسهم في المناقشة التعميلية التي بدأت من خلال نشر بيرنشتين Bernstein مؤلفه : Die Voraussetzungen des Sozialismus und die Aufgaben der Sozialdemokratie

في عام ١٨٩٩<sup>(٨)</sup> . فإذا كان للماركسية أن تصبح علما وضعيا ، في المحل الاول ، ينبغي أن تبنى استنتاجها كلية على فحص الخبرة ، وعلى تصوير كاف للوقائع الاجتماعية وتنطوي بعض جوانب أفكار بيرنشتين

Emile Durkheim, Le Socialisme ( Paris - F. Alcan, (٧)  
1928 ) pp. 3 — 4 .

(٨) ترجم للانجليزية تحت عنوان

Evolutionary Socialism ( New york - Schocken Books - 1961 ).

على قول مؤداه، ان اتجاهات التطور في المجتمعات الرأسمالية الغربية — لا تلتقى مع تلك التي استنتجها ماركس ، وان النظرية في حاجة الى تعديل- لكن تأخذ في اعتبارها التغيرات الحديثة • ولخص بيرنشتين في مذكرات وجدت بين أوراقه وجهة نظره كما يلي :

لم تنحصر اعداد الفلادين ولم تختفى الطبقة الوسطى ، ولم تتزايد الكوارث في حجمها ، ولم يزداد البؤس وعبودية الارض • وانما هناك زيادة في الاعتماد والتعرض للخطر والمسافة الاجتماعية والطابع الاجتماعي للانتاج والوفرة الوظيفية لاصحاب المالكيات •

وأجرى بيرنشتين لمحاذاة مفصلا للتغيرات الاقتصادية والسياسية التي جعلت في رأيه ، من الضروري الاهتمام بتعديل النظرية الماركسية<sup>(١)</sup> • وتتعلق أكثر العناصر أهمية في هذا الجانب من دراسته بالبناء الطبقي المتغير • اذ لم يحدث أي نوع من الاستقطاب للطبقات على النحو الذي كان يتوقعه ماركس ، وكان يصاحب اسهام رأس المال في المشروعات المضخمة نمو وتطور أعمال جديدة وصغيرة أو متوسطة الحجم، وأصبحت الملكية أكثر انتشارا ، وارتفع المستوى العام للمعيشة وتزايدت الطبقة الوسطى بدلا من أن تقل في عددها ولم يكسب بناء المجتمع الرأسمالي طابع البساطة، وإنما أصبح أكثر تعقيدا وتمايزا! • واستمر بيرنشتين في هذا التحليل ليتطرق الى مسألة الكوارث ونظرية انهيار الرأسمالية ، وهنا يذهب الى أن الكوارث أصبحت أقل حدة ،

---

(١) يوجد تحليل مفيد وقيم لوجهة نظر بيرنشتين في كتاب بيتر جاي بمنسون :

The Dilemma of Democratic Socialism (New York - Columbia University Press, 1952) .

وطالت فترة الرخاء ، نتيجة للمؤثرات المتباينة التى ساعدت على تخفيف التقلبات التجارية والتغلب جزئيا على غوضى السوق . الا انه ، كما أشار هو ، قد استمرت دورة التجارة بشكل أقل حدة ، وظل هناك نوع من الخطر ، الذى كان من الصعب التغلب عليه كلية فى النظام الرأسمالى .

وكانت الاستنتاجات السياسية التى قد استخلصها بيرنشتين من تحليلاته هذه متمثلة فى القول بأن التحول الى الاشتراكية يمكن أن يحدث ، ولكن ليس فى صورة الصراعات المأسوية بين الطبقات البورجوازية البروليتاريا ، ولهما بأسلوب أكثر تدريجية ، من خلال تخلل النظم الاشتراكية الى الرأسمالية ، بفضل نشاط حركة الطبقة العاملة وتحالفها مع جماعات أخرى من السكان .

وكانت المناقشات التى تلت ذلك ، ونخص بالذكر موقف كوتسكى Kautsky من مسألة الكوارث ، مضيئة للامال من جانب الموقف العلمى للنظرية الماركسية ، طالما كان قدامى الماركسيون يركزون انتباههم أساسا على الدفاع عن المآور الثورى للنظرية ضد النزعة الإصلاحية ، أو على قضية من غير قضايا العلم وانما من قضايا الالتزام السياسى . والواقع أن مصطلح «التمديدية» بالمعنى الأزدرابى الذى أعطى لها ، كان مصطلحا مضللا للغاية من المنظور العلمى ، لانه اذا كان على النظرية الماركسية أن تشكل علما امبيريقيا للمجتمع ، ينبغى أن تخضع للنقد المستمر المترتب على الاكتشافات الجديدة والافكار . ويمكن أن يكون المفهوم التمديدية بهذا المعنى قيمة أعلى بدلا من اعتبارها جريمة عظمى .

ولقد ظلت الموضوعات التى طرقها بيرنشتين تحتل محور المناقشات

التي دارت حول علم الاجتماع الماركسى طوال السبعين عاما الماضية. وتتمثل القضية الكبرى التي أثاروها ولا يزالوا يناقشونها ، فى تلك التي تتعلق بالتحليل السوسيولوجى المناسب للرأسمالية الحديثة<sup>(١٠)</sup> .

ولقد أكد التطور الاقتصادى والتغيرات المستمرة فى البناء الطبقي والمهنى ، والاضطرابات السياسية ، بعض الاحتمالات القديمة وكذلك انتشرت ظواهر اجتماعية جديدة فى حاجة الى بحث وتقييم — وذلك مثل التحسينات الفعلية فى ظروف الطبقة العاملة من ناحية الاستهلاك ، والعمل ووقت الفراغ ، الى جانب الاحتفاظ بالفروق الهائلة فى الثروة، والمنزلة أو الهوية والتأثير السياسى بين الطبقات الاساسية ، والزيادة المستمرة فى اعداد الطبقة الوسطى والتدهور النسبى فى ظروف العمال الصناعيين اليدويين ، والدور السياسى غير المؤكد والمستقر للطبقات المختلفة ، والاستقرار الاقتصادى والنمو الثابت للرأسمالية خلال الثلاثين عاما الماضية ، والدور المتعاطف للدولة فى الادارة الاقتصادية ، واتساع نطاق الادارة البيروقراطية ، وارتفاع شأن الخبرة الفنية ، واتساع الضخم فى الخدمات الاجتماعية والتغيرات الثقافية (وهذه فى ذاتها ما هى القوى التي انتجتها ؟) والتي عملت على ظهور أساليب حياة جديدة ومصالح سياسية جديدة .

وقد يبدو من السهل الآن ، من ناحية — أن نقوم بتحليل هذه

---

(١٠) وهي تعتبر اشارة قيمة هنا أن لوكاش الذى، كما سنرى، نسينسج للتراجم الكلية المختلفة للماركسية فى عام ١٩٢٠ ، وصل الى نتائج مشابهة فى أحد تأملاته الاخيرة للنظرية الماركسية ، عندما اشار الى مشكلة « التحليل للحقيقى للطبيعة الملائمة فى الوقت الحالى : ولاتى فشلت مهمة الماركسية فى ادراكها الى لبعد حد » وللتمهيد لنظر كتاب ليستيفان ميزورس بعنوان

Aspects of History and Class Consciousness (London: Routledge & Kegan paul, 1971).



الظواهر لانها قد استغرقت وقتا طويلا لكى تدعم ذاتها ولتفصح عن مغزائها الحقيقى .

ولكى أعتقد أن الصعوبات قد اشتدت فعلا اذ تعد المجتمعات الرأسمالية فى يومنا الراهن باللغة التعقيد والتمايز فى تجمعاتها الاجتماعية والمهنية وفى أوساطها الثقافية ، عما كان عليه الحال فى نهاية القرن التاسع عشر ، ولهذا تعتبر مهمة فهم العلاقات المتداخلة بين عناصرها عملية باللغة التعقيد أيضا وشديدة المراس . وأكثر من ذلك ، تستمر عمليات التغير باتجاهاتها المسيطرة ، وعلى نحو لا ينتهى ، الى حد يصعب معه أن نقرر ما الذى تنطوى عليه ؟ وماذا يحتمل أن تصبح عليه ؟ وتتسأ الصعوبة الثانية عن تطور علم الاجتماع ذاته ، فهناك كثير من التحولات وأكثر منها وقفات ، معظمها حدثت خلال قرن دام فيه الحوار ، واسهمت فى توضيح كيف كانت الموضوعات أو الاهداف التى حاولوا التوصل اليها مراوغة جدا من خلال مجموعة الاطر النظرية والتصورية فى علم الاجتماع . وكانت التفسيرات السوسيولوجية الحديثة بطبيعتها التجريبية أو المؤقتة تنطوى على درجة من التعارض مع الاتجاهات الدوجماتيكية فى الفكر الماركسى ( كما تتعارض كذلك مع الاتجاهات الوضعية والوظيفية التى اخذت عن علم الاجتماع لدى دوركايم ) . وكان ينبغى على علم الاجتماع الماركسى فى الوقت الحاضر أن يكون قادرا على مدنا بتحليل واقعى للمجتمع الرأسمالى ، وتحليل واقعى لاشكال المجتمع التى انبثقت عن الثورات التى حفزت عليها الماركسية ذاتها ، والتى أظهرت كثيرا من السمات التى تنطوى على اشكاليه من وجهة نظر النظرية الماركسية . وسوف أعود الى بعض هذه المسائل فى الفصل الاخير ، عندما أحاول المقارنة بين اسهامات الماركسية

واسهامات غيرها من مدارس سوسيولوجية حتى يتسنى لنا فهم التيارات الاجتماعية الحديثة .

ويبدو ان بيرنشتين ، معتقدا انه وضعى ، وغى مقال أخير له (عام ١٩٢٤) ، قد ذهب الى القول «لقد جعلتنى طريقتى فى التفكير عضوا فى المدرسة الوضعية فى الفلسفة وعلم الاجتماع وأود أن تكون ماضرتى ( كيف يمكن أن تكون الاشتراكية العلمية ممكنة ؟ ) كدليل على اتجاهى هذا !»<sup>(١١)</sup> . ولكن برغم انه كان قريبا من الوضعين فى رغبته تطوير الماركسية كعلم لمبيريقي ، فإنه قد انشق عليهم فى اهتمامه بصياغة نظرية اخلاقية للاشتراكية ، والتي كان فيها متأثرا أساسا بأدياء الكانطية الجديدة فى الفلسفة الالمانية .

وهكذا شرع برنشتين ، فى أحد اجزاء كتابه ، يعالج المشكلة الرئيسية الثانية للماركسية باعتبارها علما امبيريقي ، ونعنى تلك المتعلقة بالعلاقة بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون ، بين الاشتراكية كنتاج ضرورى لتطور الرأسمالية والاشتراكية كمثال أخلاقى ، بين العمليات التاريخية الموضوعية وبين الرغبات الذاتية ، وبين صور نضال الانسان وبين مثله . ولكنه لم يتقدم كثيرا فى مناقشة هذا الموضوع ويتعدى التحريح بوجود العنصر المثالى فى الحركة الاشتراكية وأهميته .

ولقد كانت هناك مجموعة أخرى من المفكرين — الماركسيين النمساويين — قد طوروا بعمق أكبر مناقشة الماركسية باعتبارها علما

---

(١١) نقل عن طريق بيترجاى فى كتابه :

The Dilemma of Democrotic Socialism, pp. 153 - 154,

اجتماعيا ، وكذلك العلاقة بين العلم والاخلاق (١٢) . وقام اوتوباوور  
Otto Bauer بوصف السمات الاساسية لهذه الجماعة فيما يلى :

« لقد جمع الطابع الخاص للإسهام الفكرى بين هذه الجماعة ، أكثر  
مما أسهم التوجيه السياسى الخاص فى الجمع بينهم . فالجميع قد  
نشأوا فى فترة كان يوجه فيها أشخاص مثل ستاملر Stammer  
وونيدلباند Wendelband وريكارت Richert هجومهم نحو  
الماركسية بحججهم الفلسفية ، حيث كانوا ملتزمين بالانشغال فى حوار  
مع ممثلى الاتجاهات الفلسفية الحديثة . وإذا كان ماركس وانجلز قد  
أخذوا عن هيجل ، وأخذ الماركسيون المتأخرون عن المادية ، فإن الماركسيين  
النمساويين قد انطلقوا من كانط وماش Mach . وكان على هؤلاء  
الماركسيين النمساويين من ناحية أخرى ، أن يشتركوا فى الحوار مع  
ما يعرف بأسم المدرسة النمساوية للاقتصاد السياسى ، وقد أثر هذا  
الحوار كذلك فى منهج وبناء فكرهم . وفى النهاية ، كان عليهم أن  
يتعلموا جميعهم كيف يمكن تطبيق التصور الماركسى للتاريخ على ظواهر  
بالغة التعقيد قد عجز عن تحليلها كل استخدام سطحي للمنهج  
الماركسى (١٣) .

---

(١٢) شكلت هذه المجموعة عن طريق ماكس أدلر ، اوتوباوور وراوولف  
هينغرينج وكارل رينر . مما ، بالرغم من الاختلافات النظرية والسياسية ،  
هم شكلوا واحدا من أعظم المدارس الشهيرة عن الفكر الماركسى ، كمدرسة  
مقارنة بدأت بما وجده حول مدرسة فرلنكفورت للبحث الاجتماعى . ولكن  
علمهم مازل مهمل ، وقليل جدا ما ترجم منه لى الانجليزية .  
(١٣) نشرت كمقالة افتتاحية فى

Otto Bauer, Austro - Marxismus, Arbeiter - zeitung  
( Vinna, 3 November 1927 )

وتمثل الانجازات الرئيسية للماركسيين النمساويين فى تحليلهم  
لنطق الماركسية باعتبارها نظرية سوسيولوجية ، وكذلك فى توسيعهم  
نطاق البحث الماركسى ليشمل ظواهر جديدة ومجالات جديدة من الحياة  
الاجتماعية . وذهب ماكس أدلر Max Adler فيلسوف هذه الجماعة  
الى ان ماركس قد أقام أساس علم الاجتماع العلمى مع تصوره للبشر  
وتنشئتهم ، الذى جعل من الممكن الجمع بين الطبيعة والمجتمع داخل  
نطاق نسق التفسير العلمى ، وفى نفس الوقت ، كان علم الاجتماع  
الماركسى هذا متفقا تماما مع الفلسفة الكانطية ، طالما كانت نظرية  
ماركس نوعا من النقد ، كما فى تصور كانط ، حددت  
المقولات التى يمكن من خلالها فهم كيان الاجتماعى للانسان <sup>(١٤)</sup> .  
ولكن أدلر لم يكن مستعدا لقبول التمييز الكانطى بين عالم الاحداث  
الاجتماعية أو الطبيعية المحددة على نحو سلبى ، وبين عالم الاحكام  
القيمية التى تحدد ذاتها على نحو مستقل ، ولذلك فهو لم يوافق مع  
الكانطيين المحدثين الذين ذهبوا الى أن الماركسية كعلم وضعى كانت  
فى حاجة الى أن تكمل بفلسفة أخلاقية ، وانما ادعى بدلا من ذلك ، انه  
قد انبثق عن نظرية ماركس علم وأخلاق .

لقد تحول الميكانيزم العلمى للتاريخ مباشرة وبواسطة التفسير العلمى  
له ، الى نوع من التعليل بدون أن يعانى نتيجة لذلك من أى تصدع  
فى طابعه المحدد سببيا . ومن السهل أن تدخل الان أية معرفة علمية  
تتعلق بموقف اجتماعى محدد كسبب فى ميكانيزمها العلمى . . ويظهر  
هناك عن وجهة النظر هذه على الأقل . . امكانية التحقق من رغبة قديمة

---

(١٤) انظر على وجه الخصوص عرض لوجهة النظر هذه فى مقالته بعنوان  
Der Soziologische Sinn der lehre von Karl Marx (Leipzig : C.  
L. Hirsch feld, 1914 ) .

للفلسفة مثال السياسة التي تستند الى أساس علمي . . . الاسلوب العلمى  
للدياة الاجتماعية (١٥) .

وسوف أقوم بفحص هذا التوفيق المقترح بين العلم والاخلاق  
بتعمق أكثر فى الفصل الاخير ، وأردت هنا أن أركز على صياغة أدلر  
لمبادئ علم الاجتماع الماركسى . فلقد بلور أدلر فى مؤلف أخير له ،  
قصد به أن يقدم عرضا منسقا للنظرية الماركسية ، ويعبر عن وجهة نظره  
بشكل أكثر اكتمالا — تلك المتعلقة بالتصور المادى للتاريخ كإطار للتفسير  
العلمى ، بينما يناقش فى تفصيل أدق مظاهر تعقيد العلية الاجتماعية .  
وطبيعة الدوافع كأسباب ، والصعوبات الخاصة التى تواجه محاولة إقائه ،  
ارتباطات علية دقيقة فى كثير من المواقف المعقدة . وقام أيضا بتحليل  
فكرت نشأة الانسان بوالتي اعتبرها بمثابة التصور السوسيولوجى الأساسى  
فى فكر ماركس ، وطرح التساؤل الكانطى ( الذى كان زيمل قد طرحه  
فى صورة مماثلة ) : ( كيف يمكن أن تكون عملية التنشئة الاجتماعية  
«المجتمع» ممكنة ؟ ) ولكنه قدم ملاحظة إضافية هامة مؤداها طالما أن  
تساؤل كانط حول كيف يمكن أن تكون الطبيعة ممكنة للوعى الانسانى ،  
كان قد تم صياغته بعد تطور العلم النيوتونى ، فإن السؤال المتعلق  
بإمكانية المجتمع قد طرح بعد صياغة ماركس للنظرية العلية للعمليات  
الاجتماعية .

---

(١٥) نشرت فى جزئين تحت عنوان :

Lehrbuch der materialistischen Geschichtsauffassung

هذه الاجزاء أعيد نشرها ، مما بجانب ثلجزء لثالث ( 2 - 1930 ، Vienna )  
والتي ظلت فى مسودات ، تحت عنوان عام باسم

Soziologie des Marxismus (vienna :Europäische verlagsanstalt,  
1964).

ولقد شارك كل الماركسيون النمساويون فى تصور أدلر للماركسية باعتبارها نظرية علمية ، الذين اعتبروا أن مهمتهم الاساسية تتمثل فى تطوير النظرية بواسطة الاعتماد على البحث الامبيريقى والمواجهة النقدية مع المذاهب السوسيولوجية والاقتصادية الاخرى . ولكن برغم انهم احتفظوا بهذا الاتجاه العلمى والنقدى ، الا أنهم لم يكونوا كغيرهم من المراجعين الذين اتبعوا أسلوب برنشتين ، اذ كان أول تقرير منشور لهم فى عام ١٩٠١ بمثابة هجوم على هذا النوع من المراجعة للماركسية . ونشرت الدراسة النقدية الرئيسية لاراء برنشتين على يد الماركسى الامريكى - لويس بودين Louis Boudin الذى كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالماركسيين النمساويين (وابتكر فى الحقيقة هذا المصطلح ليصف به هذه المدرسة) (١٦) . ولم يكن هناك على الاقل فى الفترة القديمة السابقة على الحرب العالمية الاولى ، أية اهتمام خاص بتلك التطورات فى الرأسمالية (مثل البناء الطبقي المتغير) والذى أمكن تفسيره كدفاع برنشتين التبريرى عن السياسات الاصلاحية وانما على خلاف ذلك فان موضوعات مثل تركيز رأس المال ونمو الامبريالية والصراعات الدولية وغيرها من مشكلات متباينة ومحددة لم يسبق أن عالجهها ماركس بالتفصيل ، ومن بينها المغزى الاجتماعى للصراع القومى ، والقومية هى علاقتها بحركة الطبقة العاملة ، أو العلاقة الدقيقة بين البناء الاقتصادى والبناء الايديولوجى المحدد «الفوقى» مثل النظام القانونى .

وقام هلفردنج Hilferding ، فى دراسته الضخمة عن

---

(١٦) انظر كتاب لويس بودين بعنوان :

The Theoretical System of karl Marx in the light of Recent - Criticism (chicago, 1907, reprinted New york : Monthly Review Press, 1967).

Das Finanzkapital التى أخذت عنوانا فرعيا ، دراسة لاحداث تطور للرأسمالية ، بتحليل تركيز ملكية المنشآت ، واندماج رأس المال الصناعى والمالى (البنكى) ومحاولة التحكم فى الاقتصاد ككل من خلال اتهامات المنتجين والاتحادات الاحتكارية ونمو نزعات الحماية المترتبة على ذلك ، واشتداد الصراع السياسى والاقتصادى بين الدول الرأسمالية ، واتساع نطاق الاستعمار كوسائل فى توسيع مجال الاستغلال الاقتصادى والاحتكار القومى . ولقد نجم عن كتاب بور Bauer حول مشكلة القوميات فى الامبراطورية النمساوية الهنجرية ، الذى ناقش طبيعة الثقافات القومية واستعان مرة ثانية بالتحليل الماركسى لمشكلة اليهود ، نجم عن هذا الكتاب أيضا نظرية الامبريالية ، الذى نظر إليها بور على انها نتاج للتدهور الاقتصادى والبحث عن مجالات جديدة للاستثمار أكثر ربحا .

ويمثل كارل رنر Karl Renner خطا إصليا آخر فى البحث ، ذلك الذى نشر عام ١٩٠٤ دراسته للنظم القانونية الذى حاول فيه تطوير نظرية ماركسية فى القانون التى قد اشتملت — الى جانب التحليل الشكلى للمعايير القانونية — على دراسة امبريقية لفكرتين متجاورتين ، أصل والوظيفة الاجتماعية للقانون : وظهر هناك فى البداية وفى نهاية التحليل القانونى نظرية اجتماعية للقانون تربطه بكل العناصر غير القانونية فى حياتنا ، وتسهم فى تنسيقها ، وذلك شأن الترس فى الية الاحداث الاجتماعية ككل .

ولقد انتقل الماركسيون النمساويون فى كتاباتهم المتأخرة ، الى مشكلات أخرى بما فى ذلك المشاكل التى ترتبت على التغييرات فى البناء الطبقي للمجتمعات الرأسمالية ، وتفسيراتها الجديدة . ثم قام

منكس أدلر ، في مقالين آخرين عن الطبقة العاملة نشرهما عام ١٩٣٣<sup>(١٧)</sup> في ضوء فشل السنوات الاربعة من الكوراث الاقتصادية عن أن تحدث نظرة أكثر ثورية بين الطبقة العاملة في أوربا ، قام بفحص دلالة ومغزى التمايز الاجتماعي المتزايد ، وتطور الارستقراطية العمالية ، التي ربط بينها وبين بيروقراطية تنظيمات العمل (كما فعل ميشيلز منذ مدة طويلة) . وأضاف رينر بعض العناصر الجديدة الى النظرية الماركسية للطبقات ، بينما أكد انه استمر يستخدم المنهج الماركسي ، في مقالين آخرين كانا قد تم نشرهما بعد وفاته<sup>(١٨)</sup> .

وكان رينر قد قام في المحصل الاول بتحليل نمو طبقة جديدة من المديرين والعاملين المأجورين التي أطلق عليها اسم «طبقة الخدمة» وذهب الى انه في تطور المجتمعات الرأسمالية كانت الطبقة - ان الاساسيتان هما طبقة الخدمة والطبقة العاملة ، وزعم أن هاتين الطبقتين قد تحركتا في اتجاه الاقتراب ببعضهما بل مالتحتي الى الاندماج ومن ثم ، قد تميزت هذه المجتمعات باختفاء الطبقات المتناقضة، وغياب اى طبقة حاكمة محددة بوضوح - وثانيا ، وضع رينر في مناقشته العامة لمشكلة الطبقة ، معالم مراجعة كاملة للنظرية الماركسية عندما ذهب الى انه قد ظهر هناك انواع اخرى من السيطرة والاستغلال الى جانب تلك التي تمارسها الطبقات التي تكونت على أساس ملكية وسائل الانتاج كما ان المدرسة الماركسية قد فشلت في البحث عن أساس

---

Wandlung der Arbeiterklasse, Der kampf (September, '١٧  
October 1933) .

Karl Renner, Wandlungen der modernen Gesellschaft: <sup>(١٨)</sup>  
zwei Abhandlungen über die probleme der Nachkriegszeit  
(vienna: Wiener Volksbuchhandlung 1953).



منسق أو دراسة كل العلاقات الممكنة والتاريخية للسلطة (١٩) .

وانتقل أيضا الماركسيون النمساويون بعد الحرب باهتمامهم الى ظواهر أخرى جديدة . فقاموا بتحليل الثورات التي حدثت بعد الحرب وخصائص ونتائج الثورة الروسية ، وحاولوا تقييم سياسات وممارسات الحركات الثورية في علاقاتها بالديموقراطية ، واحتل موضوع الديموقراطية أهمية متزايدة في دراساتهم مع ظهور الحركة النازية في ألمانيا والنمسا واجروا بحثا في نفس السياق ( الثورة والديموقراطية ) . حول نمو وقيام مجالس العمال بوظائفها — في الفترة التي تلت الحرب مباشرة ، ذلك الموضوع الذي نشر عنه ماكس ادلر كتابا مختصرا (٢٠) وسوف نعود مرة ثانية الى هذه الدراسات التي تعالج مشكلات في الميدان الذي ترتبط فيه النظرية الاجتماعية بالعمل اساسي ارتباطا وثيقا ، وذلك في الفصل الاخير .

وكذلك اثر تساؤل عما اذا كان تطور علم الاجتماع الماركسي قد تقدم كثيرا وتجاوز المرحلة التي وصل اليها في مناقشات المراجعين ، وفي دراسات الماركسيون النمساويون . ثم نشر باكارين Bukharin في

---

(١٩) هذا الموضوع قد تطور متأخرا ، في ضوء لاجبة في مجتمعات اوربا الشرقية الاشتراكية ، عن طريق ستانيسلاو سوسكي في :  
Class Structure in Social Consciousness (london: Routledge & kegan paul, 1963),

وباسلوب لكثير عمومية عن طريق رالف داهر ندورف  
Class and Class Conflict in Industrial Society (Loudon :  
Routledge & kegan paul, 1959).  
Demokratie und Ratesystem ( vienna: Sozialistische (٢٠)  
Bucherei Brand, 1919).

عام ١٩٢١ كتابا يستوفى فيه علم الاجتماع الماركسى<sup>(٢١)</sup> والذي كان من بين سماته الأكثر تشويقا محاولته اجراء مناقشة نقدية لافكار علماء اجتماع اخرين — بما فى ذلك ماكس فيبر وروبرت ميشيل — بدلا من التحرك داخل دائرة التراث الماركسى . وكان مقال أوتو نوراث Otto Neurath يمثل أكثر العروض قوة للماركسية كعلم وضعى أو حتى سلوكى ، ذلك الذى تناول فيه علم الاجتماع الامبيريقى<sup>(٢٢)</sup> الذى ظهر فيه تأثير الماركسيون النمساويون ودائرة فيينا . وتعد الماركسية ، فى نظر نوراث ، من بين كل محاولات انشاء أو تكوين علم اجتماع غير ميتافيزيقى ، وانما كالعلم الطبيعى بالتحديد ومن أكثرها اكتمالا . وأضاف الى ذلك نقده للتيارات المضادة المينافيزيقية ، ومن بينها منهج الفهم Verstehen الذى عارض قيام علم اجتماع ماركسى امبيريقى ، ثم وضع معالم السمات الاساسية لما أسماه علم اجتماع الاساس المادى ، والذى تحدد فيه مهمة عالم الاجتماع على أنها اكتشاف القوانين ... ذات الصلة بالاليات الاجتماعية باللغة التعقيد فى الفعل ، وعندئذ وإذا كانت هذه القوانين ممكنة ، فإنه ينبغى عليها ان ترد الى قوانين العلاقات الاولى . ولقد قدمت الماركسية اطارا لازما لمثل هذا النوع من علم الاجتماع ، من خلال وصف البناء الكلى لحقبة وتكوين تاريخى فضلا عن قوانين محددة تتوقف على الموقف والزمان .

---

(٢١) ترجمة للانجليزية باكارين تحت عنوان :

Historical Materialism :

A system of sociology ( New york : International publishers, 1925).

(٢٢) ترجمة للانجليزية اوتو نوراث تحت عنوان

Empiricism and Sociology, ed.

Marie Neurath and Robert S. Cohen (Dordrecht : Reidel, 1973) pp. 319 - 421.

وكانت الدراسة الهامة الاخرى لعلم الاجتماع الماركسى متمثلة فى الكتاب الذى أسهم به كارل كورش Karl Korsch ضمن سلسلة علماء الاجتماع المحدثين<sup>(٣٣)</sup> ، ولكن سيكون من المناسب التعرض لهذا الموضوع فيما بعد ، فى سياق تطور فكر كورش من التصور الفلسفى للماركسية الى التصور الاكثر سوسيولوجية .

ولقد اضطلعت مدرسة اخرى فى علم الاجتماع بمهمة اجراء بحوث سوسيولوجية وتناول موضوعات كان قد شرع فى تناولها أساسا فى قرن ماضى ولم تتم متابعتها بطريقة منسقة ، وهى تشكل أعمال الكل الذى كان ينبغى على علم الاجتماع الماركسى أن ينشغل به ، وظهرت هذه المدرسة فى فترة التوسع السريع فى الدراسات السوسيولوجية بعد الحرب العالمية الثانية ، وظلت الماركسية هى المداغم الخفى أو فى الظل فى كثير من الكتابات عن التدرج الاجتماعى أو عن التغير الاجتماعى والصراع ، وكان لها تأثيرا مباشرا فى دراسات مثل تلك التى ذكرناها فعلا ، والتى أجراها أوسوسكى Ossowski ودهراندروف Dahrendorf حول البناء الطبقي ، وفى تحليل الطبقات والصفوات الذى قدمه رايت ميلز Wright Mills وغيرهم ، وفى النظرية السوسيولوجية الذى قدمه جورج جورغيتش G. Gurvitch والى حد ما فى تحليل تطور القانون مثل كتابات فريدمان Friedman ، عن القانون والمجتمع المتغير<sup>(٣٤)</sup> الذى قد ينظر اليه على أنه استمرار لمؤلف رينر .

---

(٣٣) لنظر ، كتاب كارل كورش بعنوان

Karl Marx (London : Chapman & Hall, 1938).

كطبعة منقحة للاصل الالمانى ، الذى كتبه جوتز لانجو ، ونشر تحت عنوان Karl Marx ( Frankfort : Europäische verlagsanstalt, 1967).

(٣٤) لنظر كتاب فريدمان بعنوان :

Law and a changing society, (London : stercens, 1959).

ولم تظهر أكثر أشكال علم الاجتماع الماركسى تميزا ، الا فى السنوات القليلة الاخيرة مع ادياء الحوار حول المجتمع الصناعى والرأسمالية الجديدة ، وذلك مثل الدراسات الجديدة حول الامبريالية فى علاقاتها بما أطلق عليه اسم «البلاد النامية» والاهتمام الذى أثير نتيجة لاهياء الحركات السياسية الراديكالية .

وهناك عدد من الاسباب وراء فشل قيام علم اجتماع ماركس شامل . وأول وأعم هذه الاسباب يتمثل فى القول بأن النظرية الماركسية ذاتها ونعنى ، تلك السائدة فى التراث ، وبخاصة فى النظم التعليمية هى من بنات أفكار الطبقة الحاكمة . وتحتاج هذه الظاهرة - المحافظة على المجتمع الرأسمالى من خلال اعادة انتاج الثقافة البورجوازية - تحتاج الى بحث مفصل<sup>(٢٥)</sup> . ولكن يوجد هناك الكثير من الشواهد ، على الاقل على العقبان التى قد وضعت فى طريق العلم الاجتماعى الماركسى فى جامعات الكثير من الدول الغربية . ومن بين التأثيرات الهامة على وجه الخصوص ، من هذا النوع ، يمكن أن نشير الى ظهور النظام النازى فى المانيا ، الذى أنهى وجود كلا من الماركسية وعلم الاجتماع فى المجتمع ، حيث كانت الظروف الفكرية مواءمة بشكل استثنائى لنمو علم الاجتماع الماركسى .

---

(٢٥) للكتابات الحديثة لبيير بورديو قدمت لسهاما هاما فى هذا المجال من الدراسة ولكن هناك أيضا نتائج واسعة عن الدرجة التى تستطيع ثقافة المجتمعات الغربية فى الوقت الحاضر ان تكون موصوفة « كالبرجوازية » . وهناك بعض للتأملات الشيقة عن هذا للتساؤل فى كتاب نورمان بيرنباوم بعنوان

'The Crisis of Industrial Society (New york : Oxford university press, 1969).

الا ان هذا السبب بمفرده لا يبدو كافيا في نظري لتفسير  
هذا الفشل ، وكان التأثير الرئيسى الاخر متمثلا فى وجود  
الاورثوذكسية الماركسية القوية التى ادعت بانها علم اجتماعى ،  
ولكنها لم تزد عن مجرد دوجما سياسية فى الاتحاد السوفيتى وفى كل ارجاء  
الحركة الشيوعية الدولية ، وهذا المذهب الرسمى قد اوقف لسنوات  
عديدة كل فكر جاد او بحث . وفى النهاية ، علينا ان نفسر هذه الحركات  
الفكرية فى اوربا الغربية ، وبخاصة فى ألمانيا ، التى ادت بالمفكرين  
الماركسيين الى الاتجاه بعيدا عن افكار الماركسية كعلم اجتماعى ،  
والاهتمام باعادة اثبات عناصره الفلسفية والهيكلية .

## الفصل الثالث

الماركسية ورفض علم الاجتماع



## الماركسية ورفض علم الاجتماع

لقد تأثر رد الفعل المعارض لتصور الماركسية باعتبارها علما ونمعيًا بمجموعة من التيارات الفكرية فضلا عن تأثره بعدد من الظروف السياسية • وكما لاحظ<sup>(١)</sup> • ستيوارت هيوجيه Hughes • ولقد نشبت الثورة ضد الوضعية فعلا وبشدة خلال عقد من عام ١٨٩٠ ، وطالما امتد تأثيرها ليشمل الفكر الماركسي • ولقد أدرك كروس Croce حتى خلال الفترة القصيرة من اهتمامه بالماركسية ، أدرك ان الماركسية كمنهج في التفسير التاريخي ، قد ارتبطت بشدة بفلسفة هيغل ، أكثر من كونها علما اجتماعيا عاما •• وعرض سورل Sorel ، بعد أن اتخذ جانب برنشتين في نقاش المراجعين<sup>(٢)</sup> ، عرض فيما بعد الماركسية على أنها نظرية تتعلق بالتنظيم النقابي الثوري «٢٥» • ولكن كان هناك دائما شيئا من الاتساق في وجهة نظره • فهو لم يمتدح في كتابات برنشتين جهده في ملاحظة ووصف العالم الواقعي فقط ، وإنما امتدح أيضا اتجاهه النشاط ، ودعوته لان يلعب الاشتراكيون دورا فعلا في العالم ، وتأكيدده على العنصر الاخلاقي في الاشتراكية

---

(١) لنظر ، كتاب ستيوارت هيوجيه بعنوان :

Consciousness and Society (London: Macgibbon & Kee, 1959).

وخاصة الفصل الثاني •

(٢) لنظر جورج سوريل

Les polemiques pour L'interpretation du

Marxisme, Revue internationale de Sociologie (Paris, 1900).

(٣) لنظر ، خصوصا

Reflexions sur La violence (Paris: Marcel Riviere, 1908).



قبل كل شيء • ذلك لان «سورل» كان ينتقد دائما فكرة الضرورة باستخدام تعبير نيتشه Neitfiche قد احدثت «تحولا في تقدير كل القيم» وانها واجهت العالم البورجوازي باعتباره خصما لا يمكن المصالحة معه يتهدده الكوارث الاخلاقية أكثر مما تنتظره الكوارث المادية<sup>(٤)</sup> •

وهذا التأكيد على الجانب الثوري والممارسة في فكر ماركس قد ميز استجابة لينين للنزعة المراجعة ، ولجعل الميل العلمي والتطوري في الماركسية الالمانية ، وكانت نزعة لينين النشطة سياسية ومعنية مباشرة بتغيير العالم ، وليس باعادة تفسيره بأى طريقة جادة سواء العالم أو الماركسية •

وأصبح تصور الماركسية باعتبارها فلسفة نقدية أو فلسفة عملية في النهاية هو التصور الغالب بين جيل المفكرين الماركسيين بعد الحرب ، واخذ التعبير عنه أشكالا مختلفة لدى كورش Korsch ولوكاش Lukacs وجرامسكي Gramsci وفلاسفة معهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي (بخاصة هوركهايمر وماركيوز Horkheimer & Marcuse ) وبغض النظر عن نتائج المؤثرات الفكرية عليهم — فلقد ظهرت المذاهب المتباينة والمعارضة للوضعية عن تصور دلتى Dilthy «لعلم الروح» الذى يعتمد على فهم تفسيري للتاريخ hermeneutic وعن الفينومينولوجيا وعن فلسفة ليينز Lebens ، وفى ايطاليا عن الفلسفة المثالية للتاريخ لدى كروسية Croce وجينيتيل Gentile — كما قد تأثروا أيضا وبشدة بالاحداث السياسية • وأوضحت الثورة الروسية

---

(٤) مقامة لسافيريو ميرلينو بعنوان

Formes et essence du Socialisme (Paris, 1898).

11. G. G. Seip, Electrical Installions Handbook, Siemens AG,

كيف أن حزبا سياسيا صغيرا مسلحا بالمذهب الماركسى ، بإمكانه أن يتدخل بفعالية ويغير مجرى الاحداث ، بينما علمنا فشل الطبقة العاملة فى أوروبا الغربية عن أن تنمى نظـرة ثورية سواء فى الفترة التى تلت الحرب مباشرة أو فى عام ١٩٣٠ ، علمنا درسنا مماثلا ، ونعنى بذلك انه ينبغى ان يجلب الوعى الثورى المتجسد فى التفسير النشط للماركسية الى الطبقة العاملة من الخارج . ويبدو أن نمو الصـركات النازية والفاشستية ، وفشل الطبقة العاملة فى مقاومتها ، يبدو انه يؤيد وجهة النظر التى مؤداها انه من الخطأ والخطورة أن نتصور التطور التلقائى بين الطبقة العاملة ، واحتمالا بين بعض أقسام الطبقة الوسطى (كما زعم برنشتين) ، أو التحول الذى لا مفر منه الى الاشتراكية . وفى نفس الوقت لقد طرح نجاح هذه الحركات مشكلات جديدة ، شرع فى دراستها عام ١٩٣٠ بمعرفة بعض الزملاء فى معهد فرانكفورت ، وأدى الى جوانب أخرى من عدم الالتقاء فى تقييم النظرية الاجتماعية الماركسية .

ولقد تركت ماركسية لوكاش Lukacs ، كما تم صياغتها فى مقالات جمعت فى مؤلفه التاريخ والوعى الطبقي ، وكما استمرت توجه تفكيره برغم تخليه عن موضوعات معينة<sup>(٥)</sup> ، تركت كثيرا من هذه التأثيرات وكانت قد بنيت على فكرتين اثنتين أساسيتين ، تتمثل الاولى فى القول بأن أية حقيقة تتعلق بالتاريخ يمكن الكشف عنها بواسطة الاستبصار

---

(٥) وفى لولخر حياته جعل لوكاش هذه المسألة أساس كل تفسيره للنظرية الماركسية وذلك فى مقدمة الطبعة الجديدة من كتابه التاريخ والوعى الطبقي عام ١٩٦٧ عندما لاحظ بالنقد للذلتى للطابع للثورى معبرا عنه فى هذه المقالات وأشار الى شكه فى المحتوى الأساسى والصلاحية النهجية للماركسية كما كان قد عرضها هو .

المعقول بالعمليات التاريخية ، وليس بواسطة البحوث الامبيريقية والسوسيولوجية. ولقد أحسن التعبير عن هذه المقابلة بين علم الاجتماع والماركسية (متميزة بمنهجها الديالكتيكي) في العرض النقدي الذي قدمه لوكاش لمؤلف بوخارين Bukharin ، حيث يشير الى منهجية بوخارين الزائفة والى تصويره للماركسية باعتبارها علما عاما واستمر يقول :

انه لا يمكن لعالم الاجتماع أن يقتصر على منهج مجرد ، كنتاجية ضرورية لدخله العلمى والطبيعى ، وانما نمى في صورة علم مستقل له اهدافه الخاصة . وبامكان المنهج الجدلى أن يحقق ذلك بدون مثل هذه الانجازات الاساسية المستقلة ، والتي يتمثل نطاق اهتمامه في العملية التاريخية ككل ، التي تكشف لحظاتها moments الفردية والواقعية والتي لا يمكن تكرارها عن جوهره الديالكتيكي بدقة في الاختلافات الكيفية بينها وفي التحول المستمر في بنائها الموضوعي . اذ تعد الحقيقة الشاملة totality بمثابة نطاق اهتمام territory الجدلى (٦) .

وتتمثل الفكرة الاساسية الثانية في انه في حقبة الرأسمالية قد تحقق استبصارا حقيقيا وكافيا بالعملية التاريخية فقط بواسطة مفهوم البروليتاريا ، ونتيجة لوضعها في المجتمع ، ولقد تم صياغة هذا الاستبصار على أساس رشيد ومنسق في النظرية الماركسية ، والتي يمكن لذلك النظر اليها على انها تماثل الوعي الطبقي للبروليتاريا — ولكن لما كان الوعي الفعلى للعمال — الذي يأخذ أشكالا أو صورا متباينة ، ليس ثوريا في الغالب ، ولا يجسد النظرة الماركسية للتاريخ ، اللهم الا

---

(٦) نشرت للترجمة الانجليزية عام ١٩٢٥ تحت عنوان  
Technology & Social Relations, Newleft Review, (1966).

فى مجموعة قليلة من الحالات ، كان على لوكاش أن يضع تمييزا بين هذا الوعى السيكولوجى الفعلى والوعى الرشيد المشار اليه ، والسذى يمكن أن يتفق والنظرية الماركسية . وتمثل عملية التنبسب imputation هذه أحد واجبات المفكرين الماركسيين ومن ثم تعد الماركسية ، بعد كل شىء ، تفسيرا خاصا للتاريخ . وإذا كان لها أن تتفوق على غيرها فلا يجب أن يتم الدفاع عنها دوجماتيقيا على أسس يمكن ادراكها من وجهة نظر الطبقة العاملة ، وانما ينبغى أن يبحث عن تأكيد لصدقها بطريقة رشيدة أو امبيريقية على خلاف التفسيرات الاخرى . وتعلق على مسألة العلاقة ما بين النظرية الماركسية للطبقة العاملة فى المجتمع الرأسمالى والتطور الامبيريقى الفعلى لتنظيمات الطبقة العاملة والوعى السياسى للطبقة العاملة أهمية داسمة ، كما رأينا ، وذلك فى المناقشات التى دارت فى القرن العشرين حول الماركسية ، تلك المسألة التى لم يتعرض لها لوكاش أبدا (٧) .

وكانت نظرة جرامسى للماركسية ولعلاقتها بعلم الاجتماع ، مماثلة فى كثير من جوانبها لنظرة لوكاش ، تلك التى ظهرت مرة ثانية فى واحد من أوضح صياغتها فى المقال النقدى حول كتاب بوخارين :

ما الذى يعنيه القول بأن فلسفة الممارسة تعد بمثابة علم اجتماع ؟ وأي نوع من الاشياء يمكن أن يكون عليه علم الاجتماع هذا ؟ هل هو علم للسياسة والوصف التاريخى ؟ أو تجميع منسق لمجموعة من

---

(٧) لقد ناقشت المشاكل التى طرحها لوكاش فى تفسيره للوعى الطبقي على نحو مكتمل فى أحد المقالات بعنوان « البناء الطبقي والوعى الاجتماعى » فى لاطبة للجديدة من كتابى : توم بوتومور فى الفصل السابع .  
 Sociology as Social Criticism (London : Allen & unwin, 1974).

الملاحظات الامبيريقية فى صورة منظمة خاصة الخالصة والمتعلقة بفن السياسة والقوانين الخارجية للبحث التاريخى ؟ ألم يكن علم الاجتماع محاولة للتوصل الى ما يعرف باسم علم مضبوط للحقائق الاجتماعية بمعنى علم للسياسة والتاريخ — أو بعبارة أخرى فلسفة فى ذاتها الجنينية ؟ ألم يحاول علم الاجتماع أن يقدم شيئاً ما يماثل ما تقدمه فلسفة الممارسة ؟ لقد كان علم الاجتماع محاولة لابتكار منهج لعلم سياسى وتاريخى فى صورة معتمدة على نسق فلسفى سبق بلورته بذلك الذى يرتبط بالتطورية والوضعية ، والسذى كان علم الاجتماع قد استجاب له ، ولكن على نحو جزئى •

ولهذا فهو يعد محاولة لاستخلاص قوانين تطور المجتمع الانسانى تجريبيا بتلك الطريقة التى يتم بها التنبؤ بأن شجرة خشب البلوط ستنمو عن بذرة البلوط • ولهذا فان التطورية الشائعة تضرب بجذورها فى علم الاجتماع ، ولا يمكن لعلم الاجتماع أن يعرف المبدأ الجدلى فى انتقاله من الكم الى الكيف • وهذا التحول يعلق أى صورة للتطور وإى قانون للامتثال تم فهمه بالمعنى التطورى الشائع (أ) •

والواقع أن جرامشى Gramsci ، على أية حال ، لم يبلور هذه الفكرة المتعلقة بالمبدأ أو المنهج الجدلى ، ولم يوضح قيمتها فى أى بحث يؤكد لتتابع معين للاحداث ، ولم يقدم أى تحليل جوهرى لتفسير أو

---

(أ) « ملاحظات نقدية على اسهام فى علم الاجتماع للشائع » فى كتاب كيونتين هولروحيوفرى نويل سميث بعنوان  
Selections from the prison Notebooks  
of Antonio Gramsci (london: Lawrence & wishart, 1971) pp.  
419 - 472 .

خصوصا فى صفحة : ٤٢٦ •

تأويل قدمه علم الاجتماع الحديث بمثل هذه الطريقة التى تظهر بوضوح حدودها وعيوبها المقترضة<sup>(٩)</sup> . وما أقدم عليه كان عبارة عن صياغة لنقد أكثر عمومية للنتيجة التى مؤداها أن علم الاجتماع لم يقدم أى قوانين أصيلة (التى تعتبر بمثابة ملاحظة تافهة نجدها فى كل مناقشة نتـدية لعلم الاجتماع الوضعى) ، وأن يرسم معالم ، مسألة العلاقة بين — المعرفة والمجتمع فى صورة محددة ( التى كانت قد أصبحت أيضا مسألة شائعة فى المناقشات التى دارت فى علم الاجتماع ) ، بأن يقال ، انه ، مع اتساع نطاق الاحزاب الجماهيرية واندماجها عضويا فى حياة الجماهير ذاتها ، (الاقتصادية والانتاجية) توقفت العملية التى كانت تجعل الشعور الشعبى اليا واتفاقيا (الذى ينتج بتأثير العوامل البيئية وما شابهها ) ويصبح شعوريا اراديا ونقديا<sup>(١٠)</sup> .

وكان الهدف الرئيسى لجرامشى أن يعرف الماركسية على أنها نظرة فلسفية للعالم . ويذهب الى أن المفهوم الاساسى للماركسية الاورثوذكسية يتمثل فى القول بأن فلسفة الممارسة كاغية فى ذاتها ، طالما انها تتطوى على كل العناصر الاساسية التى يحتاجها بناء التصور الشامل والمتكامل للعالم ، فلسفة شاملة ونظرية للعلم الطبيعى، وليس هذا فقط ، وانما كل شىء يحتاجه اصفاء تنظيم عملى متكامل على

---

(٩) ولهذا للتطبيق نتيجة اعم ، فهو تطبيق مضحك وفضولى ويميز الكثير من النقد الماركسى للهيغلى لعلم الاجتماع فى انه يتركز على الظروف بين نظرية ماركس والفلسفة الوضعية عند كومت ( التى لعبت دورا ضئيلا فى التطور اللاحق لعلم الاجتماع ) بينما يتجاهل كل الجهود للرئيسية — فى علم الاجتماع للحديث وكان هذا هو الحال ، كما سوف نرى ، فى الكتابات الاولى لكروش وبخاصة فى مؤلف ماركيز .

Selections from the Prison Notebooks, P. 429. (١٠)

حياة المجتمع ، بمعنى ، ما يجعله يصبح حضارة متكاملة وشاملة (١١) .  
وقبل أن نأخذ في الاعتبار كلية وفي مرحلة لاحقة الانتقادات التي  
قد ظهرت ازاء هذه الافكار ، والتي ابتعدت كثيرا عن ما كان فكر ماركس  
الخاص يقصد اليه (وربما كان بهذا المعنى تماما قد أعلن أنه ليس  
ماركسيا) فقد يكون من المفيد أن نقدم تعليقا عاما واحدا . انه لمن  
الامور المشكوك فيها كثيرا الان عنه في الوقت الذي كان جرامسكي قد  
أوضح فيه ما اذا كانت الماركسية قادرة فعلا على انجاز هذه المهمة الضخمة  
وتوفير العناصر الثقافية والفكرية لحضارة جديدة . ويبدو انه في البلاد  
الاشتراكية التي تعد فيها الماركسية هي الايديولوجية الرسمية ، انها  
تكون مقبولة باذعان وتذمر أكثر منه بتحمس يحفز اليه نظرة اخلاقية  
جديدة ، ويبدو أن الحياة الاجتماعية العملية موجهة بالكثير من القيم  
نفسها (التي تتركز على الظروف المادية للحياة وأوجه نشاط العمل  
والفراغ ) كما تسود في المجتمعات الغربية . وعلى الجانب الآخر ، قد  
أظهرت الماركسية الى الوجود في كثير من البلاد الاشتراكية ، سواء  
بالمصادفة أم لا ، ظروف الظلم السياسي والتدهور الثقافي ، الذي يمثل  
في اعين كثير من المراقبين ، تدهورا ملحوظا عن مستوى الحضارة  
التي تم التوصل اليها من قبل . ومن ثم يبدو من المعقول جدا القول أن  
الاشتراكية في أشكالها المتباينة ، وليس الماركسية كفلسفة شاملة هي  
التي قد حملت في طياتها ، حتى الان ، عناصر حضارة جديدة .

وبالرغم من أن جرامسكي قد اراد أن يميز بدقة بين الماركسية  
كتنظرة للعالم وعلم الاجتماع كعلم اجتماعي فانه لم ينكر كل قيمه على

الاخير كنوع من التأليف الامبيريقى بين مجموعة من الملاحظات الخاصة فى صورة احصائيات ، والتي يمكن أن توفّر — على سبيل المثال ، اساسا للتخطيط<sup>(١٣)</sup> . وفى كتابات كورش Korsch ، التي بدأ فيها أيضا يعرض الماركسية فى صورة فلسفية — وباسلوب مماثل تماما لاسلوب لوكاش<sup>(١٤)</sup> — بالقول بان الماركسية كفلسفة مادية كانت بمثابة التعبير النظرى عن البروليتاريا الثورية ، تماما كما كانت الفلسفة المثالية الالمانية تعبيراً نظرياً عن البورجوازية الثورية<sup>(١٥)</sup> اكتسب علم الاجتماع ، فى كتابات كورش ، وكذلك العناصر السوسيولوجية فى الماركسية تدريجياً شهرة كبيرة . وعندما اضطلع كورش فى مقال له نشر عام ١٩٣٧<sup>(١٥)</sup> بمهمة فحص العلاقة ما بين الماركسية وعملية

---

(١٢) ولقد نمت علم الاجتماع اساساً بهذه الصورة ، فى البلاد الاشتراكية باعتباره مجموعة من معطيات المسح .

ترجم كارل كورش هذا للكتاب الى الانجليزية تحت عنوان

Marxism and Philosophy London; New left Books, 1970

(١٣) ولقد اشار كورش فى الهامش الى كتاب لوكاش للتاريخ وللوعى لاطبقى، الذى كان من ظهر بالتحديد فى اللحظة التى دفع بها كتابه الى المطبعة، وتحث عن موافقة الجوهرية على موضوعاته ، ولكنه فى مقال آخر نشر كمقدمة للطبعة الثانية من كتابه (١٩٣٠) أكد على اختلافه عن لوكاش ، وان كان ذلك بدون مناقشة الى حد كانت اختلافاتهم السياسية مرتبطة باختلافاتهم النظرية .

(١٤) أنظر : Marxism and Philosophy, P. 42.

(١٥) «المبادئ، الاساسية للماركسية » : فى كتاب باسم .

A Restatement, Marxist Quarterly, 1, 3 (October - December 1937)

واعيد طبعها مرة أخرى فى : كارل كورش بعنوان

Three Essays on Marxism (London : Pluto Press, 1917).



التدريس الحديثة لعلم الاجتماع ، ولكن بعد رفض مختصر لكومت ،  
وميز طابع علم الاجتماع فى القرون التاسع عشر والعشرين والذى  
انشأه كومت ودعاه ميلز وسبنسر كرد فعل معارض للاشتراكية الحديثة  
نجده من النادر أن يذكر أى دراسة حديثة فى علم الاجتماع • وكان كل  
ما فعله عبارة عن صياغة أربع مبادئ أساسية للماركسية كعلم اجتماعى  
حقيقى لعصرنا ، وكوسيلة عملية لنضال الطبقة العاملة :

١ - مبدأ التخصيص أو الخصوصية التاريخية - يفهم ماركس كل  
الظواهر الاجتماعية فى ضوء حقبة تاريخية محددة ؟

٢ - مبدأ التطبيق العملى ، يبدو أن هذا يشير الى الأساس  
الامبيريقى للنقد الماركسى للأسرة البورجوازية ، وعلاقات الملكية  
وهكذا •

٣ - مبدأ التغير الثورى - فى مقابل النظريات التطورية •

٤ - مبدأ الممارسة الثورية - المصاولة من خلال التحليل والنقد  
للكشف عن الاتجاهات الأساسية لتطور اجتماعى مقبل وجعل الاندماج  
الواعى والرشىد فى العملية التاريخية أمرا ممكنا •

ولقد بلور كـروث فى مؤلفه الأساسى (كارل ماركس) هذه  
المبادئ وأشار بصراحة أكبر الى الوجهة الجديدة التى قد اتخذتها  
فكره ، متجها بعيدا فى الغالب عن الاهتمامات الفلسفية للسنوات  
الخمس عشرة السابقة •

لقد كان المبدأ النقدي الذي تحقق منه ماركس امبيريقيا ، فى التطور  
 اللادق للماركسية؛ قد تم بلورته فى صورة فلسفة اجتماعية عامة •  
 ولم تتم الا خطوة واحدة ، عن هذا التحريف للمعنى النقدي  
 والامبيريقى للمبدأ المادى ، وصولا الى الفكرة التى مؤداها انه ينبغى  
 أن يبنى العلم الاقتصادى والتاريخى عند ماركس على اساس ربح  
 وليس فقط على أساس فلسفة اجتماعية ، ولا حتى فلسفة مادية شاملة  
 تجمع بين كل من الطبيعة والمجتمع ، أو تفسير فلسفى عام للعالم<sup>(١٦)</sup> •

وفى الفصل الاخير قام بتلخيص وجهة نظره هكذا :

لم يعد الاتجاه الاساسى للمادية التاريخية اتجاها فلسفيا ، وانما  
 هو اتجاه من نوع المنهج العلمى الامبيريقى • وهو يمدنا بنقطة انطلاق  
 نحو الحل الواقعى لمسألة أن المادية الطبيعية والوضعية ، ظهرا فقط  
 لتقديم هذا الحل ، وذلك بسبب اختيارها ادخال مناهج العلم الطبيعى  
 الى ميدان العلم الاجتماعى<sup>(١٧)</sup> •

ويتمثل الجزء الاكثر أهمية وجوهية فى الكتاب فى تأكيد كروش  
 على تحليل كل المظاهر الاجتماعية فى علاقاتها بالاقتصاد وكذلك فى  
 تصور الاقتصاد كظاهرة تاريخية ، شأن الاسهام الرئيسى لماركس فى  
 العلوم الاجتماعية • وذهب كروش فى فقرة مخصصة لطبعة تالية من  
 كتابه ، فى الواقع ، الى أن التمييز الاساسى بين علم الاجتماع والنظرية  
 الاجتماعية الماركسية يمكن أن نجده متمثلا فى الحقيقة القائلة بأن علم

Karl Marx, rev. German edn, P. 145.

(١٦) لنظر :

Ibid. P. 203.

(١٧)

الاجتماع يعالج نسق العلاقات الاجتماعية كمجال مستقل فى البحث ، بينما تتناول الماركسية هذا النسق من وجهة نظر التحليل المسبق للاقتصاد ، والى هذا الحد فان العلم المادى للمجتمع لدى ماركس لا يعد علم اجتماع ، وانما هو اقتصاد سياسى<sup>(١٨)</sup> . وظل هذا يمثل أحد القضايا الهامة فى كل نقد ماركسى لاحق لعلوم الاجتماع . وعلى أية حال : ينبغى ان نقول ان كروش قد وضع معالم نظرية ماركسية للمجتمع بطريقة بالغة التجريد ، ولم يهتم الا قليلا بالموضوعات الالمبريقية مثل التطور الفعلى للرأسمالية فى القرن العشرين والمشكلات التى ينبغى طرحها — والتى كان قد طرحها بيرنشتين والماركسيون النمساويون — والمتعلقة بالتغيرات فى البناء الاقتصادى أو فى النسق الطبقي . ولم يشر كروش ، فى الواقع ، بالمرة الى الماركسيين النمساويين ، أو أفكار برنشتين ، أو الى أى دراسات حديثة اقتصادية أو سوسيولوجية . وتعتبر الماركسية فى هذا العرض ، بمثابة المذهب الذى ميز أواسط القرن التاسع عشر ، والذى تحدد أساسا من خلال معارضته للاقتصاد السياسى عند ادم سميث وريكاردو .

ولقد تخلى كروش فيما بعد عن الماركسية برغم انه لم يخضعها لنقد منسب<sup>(١٩)</sup> . وبدأ على أن يعود الى النظرة الفلسفية للمجتمع ، وبخاصة تلك النظرة التى لها طابعا ذاتيا وشخصيا أكثر . وفى المذكرات

Ibid. P. 277

(١٨)

(١٩) كان كورش لثنا، سنواته الاخيرة يعمل على تجميع وجهات نظره عن للنظرية الماركسية ، ولكن عاقه مرضه من تكملته . ( لنا مدين للسيدة هيدا كورش على معلوماتها ) .

التي اعدت بغرض جولة لالقاء المحاضرات فى أوروبا فى عام ١٩٥٠ والتي  
 نسخت بالالة الكاتبة تحت عنوان «عشر موضوعات حول الماركسية  
 اليوم» (٢٠) ، أكد قائلا ، ليس هناك معنى لطرح السؤال الى أى حد  
 لا تزال نظرية ماركس وانجلز صادقة من الناحية النظرية وقادرة على  
 التطبيق العملى ، وتعتبر كل المحاولات التي قامت من أجل اعادة بناء  
 النظرية الماركسية ككل وفى وظيفتها الاصلية كنظرية للثورة الاجتماعية  
 للطبقة العاملة ، تعتبر الان بمثابة صور يوتوبية رجعية • ولكنه بعدئذ  
 استمر ييلور ما اعتبره بمثابة المداولة الاولى فى اعادة بناء النظرية  
 الثورية والممارسة • ولم تعد هذه الرغبة فى التوصل الى نظرية ثورية  
 جديدة ونشاط سياسى ، على أية حال ، متجسدة فى اطار الافكار الذى  
 يمدنا بنظرية منسقة للمجتمع أو وجهة نظر فلسفية شاملة للعالم  
 (كما فعلت الماركسية) ، ويبدو انها تنشأ ببساطة عن حكم فلسفى أو  
 أخلاقى فردى (وفى قلب المعنى عند هيجل) وعن دراسة ذاتية خالصة  
 للتاريخ الانسانى •

ويبدو من هذه الناحية أن التطور الاخير فى فكر كروث موازيا  
 تماما وليس بعيدا عن فكر بعض المفكرين ذو الصلة بمعهد فرانكفورت،  
 كما ينطوى على نقاط انطلاق مماثلة • ولقد شارك ، كورشييه ، فى الواقع  
 «فى الاسبوع الاول للاعمال الماركسية» الذى نظم فى عام ١٩٢٢ ،  
 والذى تطور عنه معهد فرانكفورت • وكثير من النقاش فى هذا اللقاء

---

(٢٠) نشرت فيما بعد فى فرنسا ، فى Arguments, 16 (1959)  
 وفى المانيا فى Alternative, 41 (1965).

الاول قد كرس من أجل كتابه القادم عن الماركسية والفلسفة<sup>(٢١)</sup>، وأمدنا هذا الكتاب مع كتاب لوكاش التاريخ والوعى الطبقي ، بالصافز الاساسى داخل الفكر الماركسى لتطوير الشكل الفلسفى الخاص للماركسية ، وتمييزه من ناحية عن المذهب الميتافيزيقى الرسمى «للمادية الجدلية» أو اللينينية الماركسية ، ومن ناحية أخرى عن العلم الاجتماعى الوضعى ( برغم أن عددا من أعضاء المعهد فى السنوات المبكرة قد احتفظوا بالمدخل الوضعى مثل جرونبرج Grunberg وهويت فوجل Wittfogal وجروسمان Grossman .) وكما لاحظ لتيشسيانم Lichtheim لا نحن فيه لا يزيد عن اعادة اكتشاف الجوهر الحقيقى للماركسية باعتبارها احياء للمذهب الفلسفى الذى يمكن أن نحلق عليه على نحو مناسب اسم الهيجلية<sup>(٢٢)</sup> .

ولقد رجع أكثر مفكرى معهد فرانكفورت تأثيرا — هوركهايمر وأدورنو وماركيوز Marcuse و Adorno و Horkheimer الى اهتمامات صغار الهيجلين فى عام ١٨٤٠ ، وأكدوا فوق كلشى أهمية

---

(٢١) انظر كتاب جاء بعنوان "The Dialectical Imagination, P. 5. وبعد للسنوات القليلة الاولى ، قل ارتباط كورش او انعدم باعمال مدرسة فرانكفورت لانه كان أكثر انشغالا بالانشاط السياسى من غالبية أعضاء المدرسة نوعا ما ، وبسبب اهتماماته للنظرية ، كما سنرى ، لتي نقلته من الاهتمام للفلسفى الى التصور العلمى للماركسية لثناء عام ١٩٣٠ .

(٢٢) انظر كتاب جورج ليشيزيم بعنوان "From Marx to Hegel (London - Orbach & Chambers) عام ١٩٧١ ص ٢ . اول مقالة فى هذا المؤلف يقدم لنا تفسيراً ممتازاً للظروف التى شجعت على نمو للهيجلية الماركسية اثناء عام ١٩٣٠ ، وبعد ذلك عام ١٩٤٥ عندما اعطيت تأثيرات الفلسفة للهيجلية والفينومينولوجيا فرصة جديدة للانتماش فى الوجودية .

الجانب الذاتى فى النشاط وارجعوا قدرا كبيرا من الاستقلال والاهمية للبناء الفوقى الثقافى ، وكرسوا جهودهم الاساسية فى بلورة نوع من «النقد النقدى» الذى كان ماركس قد سخر منه . وهناك بالطبع اختلافات هائلة أيضا بين الموقف فى عام ١٨٤٠ والموقف فى عام ١٩٣٠ حيث ظهرت تيارات فكرية اخرى كثيرة ركزت على فلسفة هيجل وانشغلت بعملية نقد الوضعية ، وحدثت هناك تغيرات سياسية واقتصادية ضخمة بخاصة تطور النظام السياسى والاجتماعى فى الاتحاد السوفيتى ، وظهور الفاشية — والتى طرحت مشكلات جديدة أمام النظر النقدى .

ولكن هناك سمة واحدة بخاصة تربط بين فلاسفة فرانكفورت وصغار الهيجليين ، ونعنى غياب دور الطبقة العاملة . فلقد تجاوز ماركس فيما وراء صغار الهيجليين عندما صاغ فلسفة الممارسة ، وتصور النشاط العملى النقدى ، برغم أن اكتشافه للبروليتاريا كقوة مادية فى الحياة الاجتماعية الذى ارتبط فيه النشاط الثورى والنقد النظرى أو قد يصبح كذلك . وواجه مفكروا فرانكفورت موقفا ، توقفت فيه الطبقة العاملة كما اعتقدوا هم ذلك ، عن أن تكون ثورية ، ومن ثم أدى بهم ذلك بالرجوع الى ما يسبق الفكرة الماركسية عن النشاط الثورى باعتبارها نتاجا لموعى نقدى ثورى . ولقد أصبح الاثر الكامل لوجهة النظر هذه واضحا فقط فى وقت حديث جدا ، وفى كتابات ماركيوز الاخيرة ، وفى أعمال صغار جيل المفكرين الذين ارتبطوا بمدرسة فرانكفورت قبل الحرب والذين سوف القى نظرة مختصرة عليهم .

فقد كان النقد الذى وجهه فلاسفة فرانكفورت الى علم الاجتماع غير مباشر اساسا ، وذلك من خلال نقدهم للوضعية ، بالرغم من أن

ماركيوز في كتابه العقل والثورة قد رفض خاصة علم اجتماع كومت  
في ضوء عبارات كان بالامكان تطبيقها على نطاق أوسع .

كان على الدراسة الاجتماعية ان تكون بمثابة علم يبحث عن القوانين  
الاجتماعية ، وان يكون صدق هذه القوانين مشابه أو مناظر لصدق  
القوانين الطبيعية . وكان التطبيق الاجتماعي ، بخاصة ما تعلق بتغيير  
النظام الاجتماعي ، قد اختلف بهذه الطريقة المتصلبة . حيث كان ينظر  
الى المجتمع باعتبار أن هناك قوانين رشيده تحكمه وانها تتغير بالضرورة  
الطبيعية . . . . وكان الرفض الوضعي للميتافيزيقيا مقترنا برفض ادعاء  
الانسان تغيير وإعادة تنظيم نظمه الاجتماعية طبقا لارادته الرشيدة (٣٣) .

وكن بينما كان النقد الفلسفي للوضعية هو السائد دائما ، الا انه  
لم يشكل كل أعمال المعهد ، الذي كشف الكثير منه عن موضوعات جديدة  
كانت لها أهمية واضحة في تطور النظرية الاجتماعية الماركسية . ويصدق  
هذا خاصة على محاولة ادماج علم النفس والتحليل النفسي داخل الاطار  
الماركسي ، والاستفادة من هذه النظم الفكرية في تحليل ظاهرة الفاشية  
الجديدة والمزعجة .

وكانت الدراسات التي سارت عبر هذه الخطوط قد حفز اليها اريك  
فروم E. Fromm بدرجة كبيرة ، الذي كان قد ارتبط بالمعهد منذ  
عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣٩ ، عندما انفصل عن المعهد أساسا بسبب

---

(٣٣) انظر كتاب هريبرت ماركيوز بعنوان :

Reason and Revolution :

Hegel and the Rise of Social theory ( New York : Oxford  
University Press, 1941,) PP. 343 - 344.

تتناقض النزعة الرأديكالية فى اهتماماته • وكان فروم قد نشر فى العدد الاول من مجلة المعهد The Zeitschrift fur Sozialforschung عام ١٩٣٢ ، مقالا حول منهج وهدف علم النفس الاجتماعى التحليلى<sup>(٢٤)</sup> التى ذهب فيها الى أن التحليل النفسى (وان يكن فى صورة معادلة أو منقذة) يمكن أن يثرى التصور الماركسى للطبيعة الانسانية ، ويساعد على مدنا بتفسير أكثر كفاية للعلاقة بين الاساس الاقتصادى للمجتمع والبناء الفوقى الايديولوجى • وفى الدراسة التى نشرها أخيرا ، حول تطور الشخصية فى المجتمع الحديث ، التسلطية وسيكولوجية النازية قد شرع فى الحاق فكرته المتعلقة بالطابع الاجتماعى وقام بتلخيص وجهة نظره هكذا :

تعتبر القوة الاقتصادية ذات فعالية ، ولكن ينبغى أن تفهم لا باعتبارها واقعية سيكولوجية وانما على انها ظروف موضوعية ، كما أن القوة السيكولوجية ذات فعالية ، وانما ينبغى أن تفهم باعتبارها هى التى تحدد ذاتها من الناحية التاريخية ، وللأفكار فعاليتها ، وانما ينبغى ان تفهم على أنها تضرب بجذورها فى كل البناء الشخصى لأعضاء الجماعة الاجتماعية وبعبارة أخرى ، تؤثر الظروف الاجتماعية فى الظواهر الايديولوجية من خلال وسيط هو الشخصية ، والشخصية من ناحية أخرى ، ليست بمثابة نتاج لتوافق سلبي مع الظروف الاجتماعية وانما لعملية توافق دينامى على أساس العناصر التى اما أن تكون

---

(٢٤) ترجمة للانجليزية اريش فروم تحت عنوان :

The Crisis of Psychoanalysis :

(New York : Holt, Rinehart & Winston, 1970)



موروثة بيولوجيا فى الطبيعة الانسانية أو قد أصبحت موروثة كنتيجة  
للتطور التاريخى (٢٥) .

وتتطوى أعمال فروم على توجيه امبيريقى ووضع أكثر مما تتطوى  
عليه أعمال الكثير من أعضاء المعهد الآخرين ، وبخاصة ، فى الاعتراف  
بان القوى الاقتصادية والسيكولوجية والايديولوجية فى المجتمع ، بينما  
تعتبر معتمدة فيما بينها ، فهى تتمتع أيضا بدرجة معينة من الاستقلال  
ولاحظ أن هذا يصدق خاصة على التطور الاقتصادى ، الذى يبايعته  
على قوى موضوعية ، مثل قوى الانتاج الطبيعية ، والفن الانتاجى  
والعوامل الجغرافية ، الذى يحدث طبقا لقوانينها الخاصة (٢٦) .

وبطبيعة الحال ، أصبحت الاهتمامات العامة للمعهد ، فلسفية بشكل  
متزايد خاصة بعد العودة الى المانيا فى عام ١٩٤٩ ، وركز المدافعون  
عن النظرية النقدية لان اهتمامهم على نقد الثقافة الجماهيرية تلك التى  
نظروا اليها باعتبارها جوانب سلبية فى نزعة الترشيد والتتوير  
للسيطرة الفكرية للفكر التكنولوجى والعلمى ، ولقد دخلت هذه الافكار  
الى حد كبير فى النقد العام للوضع ، التى أحييت المناقشات المنهجية  
للقرن التاسع عشر بينما ادخلت بعض الموضوعات الجديدة ، بخاصة من  
نطاق فلسفة اللغة (٢٧) ، وهقدت تدريجيا أية علاقة مميزة لها بالنظرية

---

(٢٥) لنظر «فورم» أيضا فى كتابه :

The Fear of Freedom (London :  
Routledge & Kegan Paul, 1942) PP. 252 - 253.

Ibid. P. 253.

(٢٦)

(٢٧) لنظر ، كمثال ، بيتر ونيش

The Idea of a Social Science and its  
Relation to Philosophy (London : Routledge & Kegan Paul,  
1958).

الماركسية • وتعتبر هذه الحركة للفكر أكثر وضوحا في كتابات ماركيز  
وبعض من أولئك الذين قد ينظر اليهم على أنهم الجيل الاخير في مدرسة  
فرانكفورت — ونعني هابرماس وويلمر Habermas and Wellmer —  
قبل حلها في نهاية عام ١٩٦٠ •

وطرح ماركيز في كتابه الانسان ذو البعد الواحد<sup>(٢٨)</sup> موضوعا  
مضمونه انه في البلاد المتقدمة صناعيا قد اسهم تقدم العلم والتكنولوجيا  
في بناء شكلا للسيطرة ، ونسقا للضبط الاجتماعي ، من خلال تحقيق  
التكامل الثقافي والاجتماعي للطبقة العاملة في المجتمع ، وقد تخلص من  
أى قوة حقيقية قادرة على احداث تغير تاريخي راديكالي وايجاد نوع  
جديد من المجتمع •

كانت النظرية النقدية للمجتمع (ونعني الماركسية) في وقت نشأتها  
تواجه وجود قوى حقيقية في المجتمع القائم وقد تحركت (وبالامكان  
توجيه حركتها) تجاه نظم أكثر تحررا ورشدا من خلال ابطال أثر القوى  
الموجودة التي أصبحت عقبات في طريق التقدم • وتوافرت هناك دعائم  
أمبيريقية قد استندت اليها النظرية في بنائها ••

وبدون ظهور مثل هذه القوى ، قد يظل نقد المجتمع صادقا أو  
رشيذا ولكن قد يكون عاجزا عن ترجمة رشده الى عبارات للممارسة  
التاريخية •

---

(٢٨) أنظر كتاب هيربرت ماركيز بعنوان :

One - Dimensional Man, Boston :  
Beacon Press, 1964).

واستنتج ماركيز أن النظرية النقدية للمجتمع لا تشتمل على مفاهيم يمكن أن تعبّر بها الهوية بين الحاضر والمستقبل ، ولا تتمسك بأى وعد وتبدى أى نجاح ، وانما ظلت سلبية<sup>(٢٩)</sup> وان ما يكشف عنه هذا عبارة عن الالتزام القوى للمنظر النقدي خاصة بالتفسير الذاتى والمتعسف للتاريخ الذى لم يعد يرتبط لبالدركة الاجتماعية ولا بمجموعة المعارف التى يمكن التوصل إليها علانية ومعايير الصدق التى يمكن بها الحكم على مزاعمها . ويمثل هذا أيضا تخليا نهائيا عن أى شىء يمكن أن يعرف باسم النظرية الماركسية لانها حذفت عنصرين اثنين ضروريين فى الفكر الماركسى ، تصور أهمية وجوهرية وتقدمية تطور النظام الاقتصادى ، وبخاصة الاقتصاد الرأسمالى ، والفكرة المتعلقة بالطبقة العاملة كقوة ثورية ، العامل التاريخى الفريد بحامل الحضارة الجديدة . ويفصل كلا من هابرماس وويلمر نفسيهما بطريقة مماثلة عن الماركسية من خلال تأكيدهم أن أهمية الطبقات الاجتماعية قد قلت أو أصبحت مهملة فى المجتمعات الرأسمالية فى الوقت الحاضر<sup>(٣٠)</sup> ، ومن خلال تأكيدهم على البناء الفوقى الثقافى أكثر من اهتمامهما بالاساس الاقتصادى باعتباره الميدان الذى ينبغى أن تتجز فيه التغيرات الجذرية وربما معظمها بواسطة نقدهم المتطرف لما يروه ، على انه جوانب وضعيفة فى نظرية ماركس الخاصة التى فى رأيهم يمكن التشكك فى صدقها كطريقة فى دراسة المجتمع الانسانى .

وبالامكان أن نميز سمتين عامتين اثنتين فى تطور الماركسية الفلسفية

Ibid. PP. 254 - 255

(٢٩)

(٣٠) واستنتج ويلمر فى كتابه Critical Theory of Society صفحة ١٣٨ أن تصور ماركس عن الطبقات قد فقد نأحتة كأداة للتخيل .

فى معارضتها لعلم الاجتماع • الاول — وهو الاكثر وضوحا فى الاسهام الاخير لمدرسة فرانكفورت ويتمثل فى العودة الى اطار الفكر الماركسى السابق ، بالمعنى الذى يجعله قريب من هيجل عنه الى ماركس وكما لاحظ لتيشيم ، وذا وجدنا التفكير المعاصر يعيد انتاج اشكالية الموقف التاريخى القديم — ومعنى ذلك الذى نشأت عنه الماركسية — فاننا نكون مخولين افتراض بانه قد حدث على هذا النحو لان العلاقة بين النظرية والتطبيق قد اصبحت مرة اخرى من نوع المشكلة التى كانت أمام اتباع هيجل فى عام ١٨٤٠ (٣١) •

وسوف أناقش مسألة النظرية والتطبيق فى كليتها فى الفصل التالى ولكن سيكون من المفيد عند هذه النقطة أن نجمع معا بعض القضايا التى برزت عند المناقشات السابقة •

كان تطور الماركسية التى أخذت الطابع الهيجلى بمثابة استجابة الى حد كبير لكل مظاهر الشك فى الاساس النظرى للفعل الثورى فى الظروف السياسية التى ظهرت فى مجرى القرن العشرين ، وانعيار الديمقراطية الاجتماعية الالمانية والمجموعة الدولية الثانية مع نشوب الحرب العالمية الاولى (التى أمكن تفسيرها كنتيجة مترتبة على الفزعة الاصلاحية ، والاخيرة بدورها كنتاج لنظرتهم التطورية والعلمية للماركسية) ، والنجاح المتفاير للثورة الروسية خلال أعمال الطليعة الثورية ، والتدهور الواضح فى الالتزام الثورى للطبقة العاملة فى أوروبا الغربية ، ومن ناحية أخرى ، نمو حركات الجناح اليميني النشط

---

G. Lichtheim, From Marx to Hegel (London : (٣١) لنظر  
Orbach & Chambers, 1917) P. 14

والخدع الناتجة عن اندماج النظام الاستالينى فى الاتحاد السوفيتى ( التى بررت نفسها بالجوء الى الماركسية باعتبارها نظرية علمية ) ، وامتدادها الاخير لمجتمعات أخرى فى أوروبا الشرقية ، ويمكن ان نقول على نحو أكثر عمومية ان الماركسية كمنظورية حتمية تقريبا للتطور الاجتماعى قد كانت موضع لجوء ضخم بشكل واضح عندما ظهر أن التاريخ فى الأحداث فعلا يقود نحو الاشتراكية وأمكن القول بثقة أن التاريخ فى جانبنا . ولكن عندما كشف مجرى التاريخ عن جانب غير مطابق للغاية فى النظم الشمولية ، أما فى الفاشستية أو الستالينية، أو فى إقامة ماقد يبدو على انه نموذج ثابت لرأسمالية الرفاهية التى لاتأخذ بالمساواة بعد عام ١٩٤٥ واندفع أولئك المفكرون الذين ارادوا أن يحافظوا على الامل الثورى فى التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية نحو تفسير مختلف للماركسية ، من النوع الذى أكد الجوانب الذاتية — الوعى الثورى والالتزام — فى النشاط العلمى . وبالطبع ، يمكن لهذا التفسير أن يأخذ صورا أو أشكالا مختلفة ، ورأى كل من لوكاش وجرامسى وكورش فى أوائل عام ١٩٢٠ فى الوعى الثورى كما يجسد فى الحزب الشيوعى . بينما نظر فلاسفة هرانكفورت اليه على خلاف ذلك، باعتباره سمة للمفكرين الماركسيين — ولكن فى كلا هاتين الحالتين ، وفى غيرهما التى تبتعد عنهما فى هذا التفصيل أو ذاك ، ظهر نفس الادعاء يتملك استبصارا متميزا بالحقيقة المتعلقة بالتاريخ والتى يمكن أن تكون معارضة لآى تفسير سوسيولوجى امبيريقى فقط للأحداث التاريخية فى كل شروطها المطلقة .

والسمة الثانية ، والغريبة جدا ، فى تطور الماركسية الفلسفية تتمثل فى انه بينما انها بدأت على أنها نقدا ماركسيا لعلم الاجتماع فإنها قد فصلت نفسها أكثر وأكثر عن بعض الافكار الاساسية (الاكثر تأثيرا) فى

نظرية ماركس ، وتحركت في نفس الوقت أكثر لتقترب من التصورات والمناهج التي يمكن أن توجد في بعض الاشكال الحديثة لعلم الاجتماع .

وجدنا هناك ، اندماج للماركسية الفينومينولوجية مع علم الاجتماع الفينومينولوجي ، ولكن في عملية قد فقد فيها شيئا ما مميزا . ويعتبر الموضوع الاساسي للنقد الان ، وفي مجال الفكر ، هو الجوانب الوضعية في العلوم الاجتماعية . فليست النظريات البورجوازية للمجتمع وفي مجال الحياة العلمية ، تركز النقد حول المجتمع التكنولوجي وليس الرأسمالية .

والواقع أن هذه الموضوعات التي يدور حولها النقد مرتبطة ببعضها ، كما كانت ترتبط موضوعات الرأسمالية والفكر البورجوازي في نظرية ماركس . (سبب اجرائي) هو أن الوضعية نظر اليها على أنها الشكل السائد للفكر الذي تسبب في وجوده المجتمع التكنولوجي وهي بدورها تقوم بوظائف مثل التي تقوم بها الايديولوجية في تدعيم والمحافظة على نظم ذلك المجتمع . والشئ الذي لم يكن واضحا بالمرّة — تماما كما لم يكن واضدا في حالة صغار الهيجليين — هو المعنى الدقيق الذي يمكن به النظر الى النظرية النقدية الماركسية التي ظهرت فيما بعد على انها ثورية أو راديكالية من الناحية السياسية . وحدث هناك في عام ١٩٦٠ مصادفة كبيرة ، تتقابل مع راديكالية الحركة الطلابية ، ولكن كان الجهد الاساسي موجها نحو فهم العالم أكثر من تغييره . وما بدا على أنه مذهب نشط يبدو انه قد انتهى اخيرا الى نوع من التامل التشاؤمي .



## الفصل الرابع

### النظرية والممارسة





## النظرية والممارسة

تشغل مسألة الارتباط بين النظرية والممارسة مكانة مركزية في الفكر الماركسي ، وباستطاعتنا أن نكشف أصولها في المناقشات التي دارت بين صغار الهيجليين خلال أربعينات القرن الثامن عشر ، وبخاصة في الكتاب الذي نشره أوجيست سيزكوفسكي A. Ciezkowski عام ١٨٣٨ بعنوان «مقدمة في فلسفة التاريخ» Prolegomena Zur Historiosophie <sup>(١)</sup> وذهب سيزكوفسكي الى أنه طالما أن الناس قد وصلوا الان ، من خلال فلسفة هيجل ، الى المعرفة المطلقة ، فإن المرحلة التالية في تطورهم يمكن أن تكون هي فقط مرحلة تطبيق هذه المعرفة لتغيير العالم .

«... لقد وصلت الفلسفة الى مرحلة كلاسيكية للغاية ، أصبح من الضروري معها ان تتخطى حدودها ، بحيث تترك هذا العالم الى عالم اخر ... هو عالم الحياة الاجتماعية العملية ... فمن الان فصاعدا ، سوف يصبح ما هو عملي بحث ، أي الفعل الاجتماعي والحياة في الدولة

---

(١) نوقشت آراء سيزكوفسكي بالتفصيل في :

Nicholas Lobkowitz, *Theory and Practice* (Notre Dame, New York : University of Notre Dame Press, 1967) chapter 13.

وباختصار شديد في :

David McLellan, *The Young Hegelians and Karl Marx* (London : Macmillan, 1969).

وقد أمدنا كلا من المؤلفين بمعلومات عامة مفيدة عن اللوسط الفكري لصغار الهيجليين .

هو المطلق ... ان الوجود والفكر سوف يذويان فى الفعل ، والفلسفة والفن فى الحياة الاجتماعية ، وذلك كله من أجل عودة الارتباط الدائم فى الصورة المطلقة للحياة الاجتماعية» (٢) .

وأشار سيزوفسكى الى هذه الممارسة الاجتماعية الناتجة عن المعرفة المطلقة على أنها «ممارسة ، ما بعد النظرية» أو التطبيق Praxis حيث يتحقق أعلى مستوى للتأليف بين الوجود والفكر ، ويرتكز هذا التصور على مركب من الافكار تدخل مباشرة فى نظرية ماركس (٣) ، وفى بعض التطورات اللاحقة التى شهدتها النظرية الماركسية . وهكذا أقام سيزوفسكى تفرقة بين الوقائع والافعال acts . أما الاولى فهى تلك الاحداث التى يستطيع الوعى الانسانى أن يفسرها ويتناولها ولكن ليس بوسعه تحديدها ، وأما الاخيرة فهى تلك الاحداث التى نفكر فيها بداءة ثم نحملها شعوريا . ولعل ذلك يربط بوضوح بالتفرقة التى صاغها ماركس بين «ما قبل التاريخ» ، حينما كانت تتحدد الحياة الاجتماعية للبشر بعوامل خارجية أساسا ، ثم المرحلة اللاحقة ، حينما يستطيع الناس أن يصنعوا تاريخهم الخاص عن قصد وبوعى ، من خلال السيطرة الرشيدة على الطبيعة ، وعلى طبيعتهم الخاصة .

---

Cieszkowski, Prolegomena, PP. 101, 112, cited by Lobkowitz, PP. 198 - 200.

(٢) لا يوجد دليل على أن ماركس قد تأثر مباشرة بكتاب سيزوفسكى ، ولكنه كان ملما بأفكاره الأساسية من خلال موزيس هيس Moses Hess . وعلى أية حال ، فقد نوقشت هذه الافكار باستفاضة فى عالم صغار الهيلجيين لنظر تطبيقات :

Lobkowitz, Theory and Practice, PP. 203 - 6.

ولكن يلاحظ على معالجة سيزكوفسكى لمشكلات الممارسة الاجتماعية — على نحو ما أشار لوبكو فيكر Lobkowicz — أنها غامضة ومجردة<sup>(٤)</sup> ، ومن ثم لا نجد سوى في أعمال ماركس فقط كيف تكتسب أفكاره معنى تطبيقيا هائلا وأهمية سياسية. ولقد كان أكبر انجاز لماركس هو بناء نظرية اجتماعية ، على الرغم من أنها ذات طابع عالمي بوصفها إطارا لتحليل كل المجتمعات البشرية ، فإنها على وجه الخصوص تمثل نظرية للطبقة العاملة في المجتمع الرأسمالي ، وهي غي ذات السوقت الذي غسرت فيه تطور الطبقة العاملة ، قدمت نظرة للمجتمع وللتاريخ يستطيع وعى الطبقة العاملة أن يتمثلها ، وإن توجه ممارستها السياسية ومن ثم ، فإن الطبقة العاملة في نظرية ماركس — بوصفها جماعة اجتماعية حقيقية وتجمعا موضوعيا — تجسد وحدة النظرية والممارسة. لكن هذا المفهوم يمكن تأويله بطرق مختلفة لآبد من التمييز بينها . ففي رؤية لوكاش Lukacs للنظرية الماركسية. اتخذت الفكرة شكلا هيجليا في تعريف البروليتاريا بوصفها موضوع العملية التاريخية. وهذا بدوره طرح من جديد مفهوم هيجل عن المعرفة المطلقة على أنها معرفة الحق المطلق عن التاريخ<sup>(٥)</sup> . وهذه المعرفة المطلقة تقوم بدورها بوصفها موجها دقيقا وواضحا للنشاط التطبيقي (كما فكر سيزكوفسكى) وللمفكر الماركسي — سواء كفرد ، أو كما افترض لوكاش دائما وهو مدمج

Ibid., P. 202.

(٤)

(٥) وقد ادرك لوكاش نفسه ذلك مؤخرا جدا عندما أشار في مقسمته للطبعة لأجديدة للكتاب :

=

فى تجمع مثل الحزب الشيوعى — بحيث يصبح قادرا على تحديد النظرة الصحيحة ، والنشاط السياسى للطبقة العاملة فى كل مرحلة تاريخية من مراحل تطورها . وبوسعنا أن نجد صورة مختلفة الى حد ما لهذه الافكار تكشف عن الاساس الذى اقيمت عليه نظرية ماركيز Marcuse كما عبر عنها فى كتابه : «الانسان ذو البعد الواحد» ، اذ ان الباحث النقدى قادر على أن ينصب نفسه قاضيا حول لا عقلانية المجتمع القائم ، والدكم النهائية على الحاجات الاصلية لكل البشر .

ومع ذلك ، هفى نظرية ماركس الخاصة ، لا تلعب فكرة المعرفة المطلقة هذه أية دور ، وهى تخضع لنقد حاد بوصفها تجريدا مطلقا ، أى أنها نتاج لفكر مجرد يلزم نفسه بفهم المجتمع والتاريخ فهما حدسيا<sup>(١)</sup> . واذا كان الامر كذلك،فاننا ننظر الى النظرية الماركسية على أنها قد تطورت لمعارضة هذا التصور المثالى المنهجى ، اى على أنها علم أمبيريقى للمجتمع يستند الى تحليل أساليب الانتاج المادية ، وعليها

---

= History and Class Consciousness (Neuwied : Luchterhand Verlag. 1967).

ان الاساس للفلسفى المطلق للكتاب هو وحدة للشيء والموضوع تلك للوحدة التى تتحقق فى العملية التاريخية (مفهوم للروح المطلقة عند هيجل) فتسلك محاولة لاجراخ هيجل عن الفلسفة للهيجطية . وتلك صيغة تجاوز اى احتمال ممكن للواقع .

In the Economic and Philosophical Manuscripts; See (١)  
T. B. Bottomore (ed.), Karl Marx : Early Writtings (London :  
Watts, 1963) PP. 199-200, 216-17.

أيضا أن ندرك الى أى مدى تنطوى إعادة توجيه الفكرة هذه على علاقات متعددة بين النظرية والممارسة ، ذلك أن المعرفة العلمية بعيدة عن أن تكون مطلقة ، أنها نسبية وقابلة للإصلاح ، وهى فقط بقدر محدود يمكن النظر إليها على أنها تقدم أساسا مكيئا لممارسة صحيحة اذن ، فالتطبيق ينطوى على طابع مختلف ، انه لا يعنى بأية حال الممارسة الاجتماعية التى توجهنا إليها النظرية على هيئة نشاط وع وغير محدد للأفراد والجماعات نابع عن غمهم كلى لحقيقة العملية التاريخية ، ولكن الفعل مستندا الى معرفة جزئية ، قابلة للإصلاح اكتسبت بواسطة الدراسة الامبيريقية للبناء الاجتماعى والاحداث التاريخية . وهى الوقت نفسه ، فان الممارسة ذاتها . أى التطور الواقعى للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، يجب أن ينظر إليها على أنها تمارس تأثيرا على النظرية ، اذ هى تطرح مشكلات جديدة ، وتعيد الى البحث بعض القضايا التى تتألف منها النظرية أو التى تكون مشتقة منها . وبايجاز ، فان مشكلة التطبيق — أى العلاقة بين النظرية والممارسة — لا يمكن تناولها تناولاً ملائماً من الجانب النظرى فحسب ، أو على أنها مسألة تستطيع حلها بعض الاطارات النظرية والفلسفية العامة ، وانما يتعين النظر إليها من وجهة نظر الممارسة ذاتها ، أى أن نأخذ هى الاعتبار ذلك التعبير فى النظرية الذى قد يتطلبه تطور الحياة الاجتماعية الى صور جديدة ، ومن خلال الاهتمام أيضا بالبحث الامبيريقى للتطبيق ذاته ، أى الارتباط الموقفى الاجتماعى والتاريخى بين النظرية والممارسة .

ومن هذه الزاوية فإن دراسة برنشتاين Bernstein للتغيرات  
التي طرأت على الرأسمالية ، وكثير من الدراسات النقدية اللاحقة ، هي  
تماما بحوث شرعية فى مسألة التطبيق ، انها لا تتساعل عن كيفية  
خضوع الممارسة للأفكار الفلسفية ، ولكنها تبحث فى كيفية تطورالنسق  
النظري ، واعادة صياغته أمبيريقيا ، من أجل الكشف بطريقة أكثر دقة  
عن اتجاهات الممارسة الاجتماعية وتفسيرها بصورة ملائمة . وفى ذات  
الوقت ، فإن هذه الدراسات تطرح تساؤلا اخر ، كان فى قلب المناقشات  
التي دارت حول التطبيق الماركسى منذ نهاية القرن التاسع عشر ، تلك  
هى العلاقة بين العلم والاخلاق . اذ أن أولئك المفكرين الذين تبنيوا  
نظرة وضعية واسعة ، وقبلوا التمييز بين الواقع والقيمة ، قد واجهتهم  
مجموعة من الصعوبات فى تفسير الحركة الاشتراكية بوصفها ظاهرة  
ضرورية ومحددة ، ومن ثم فإن التحول الى المجتمع الاشتراكى أمر  
لا يمكن تجنبه . وهكذا ، فإن الدوافع الاخلاقية والاهداف هى غير  
ملائمة ، ويمكن النظر الى السياسة الاشتراكية (كما يمثلها كوتسكى  
على سبيل المثال) على أنها تكنولوجيا اجتماعية محايدة اخلاقيا تستند  
الى علم المجتمع . ومع ذلك ، فهناك اخرون — لعل أهمهم برنشتاين  
وفرلندييه(٧) — ذهبوا الى أن العلم الاجتماعى الماركسى هو بحاجة

---

(٧) فرلندييه فيلسوف كانطى محدث شهير ، شرح وجهة نظره عن  
الاشتراكية الاخلاقية ، فى :

Kant und der Sozialismus (Berlin, 1900).

وامدنا بوصف وشرح شامل للأفكار الفلسفية للحركة المغيرة للكبرى فى :  
kant und Marks (Tubingen : J. C. B. Mohr, 1926).

الى استكماله بنظرية أخلاقية ، اذا كانت الاشتراكية تبدو متفوقة أخلاقيا ، ومن ثم تستحق الكفاح بوصفها غاية . لكن هذا التجاور بين العلم الاجتماعى والنظرية الاخلاقية لا يحل بذاته المشكلات الرئيسية اذ من الضرورى أيضا أن نتساءل كيف تستطيع نظرية حتمية عن التطور الاجتماعى أن ترتبط بامكانية الاختيار الاخلاقى (فى سياق عالم طبيعى هريد أو عالم للظواهر)، وفضلا عن ذلك فبافتراض واقعية الاختيار الاخلاقى ، ووجود مثاليات اخلاقية متنوعة ، كيف نفترض أن عدم الاتفاق الاخلاقى يجب أن يحل ، وما هو نوع الجدل الملائم ، فى ايضاح أن الاشتراكية على سبيل المثال هى الافضل أخلاقيا . لقد تناول ماكس أدلر M. Adler ، كما رأينا فيما سبق ، بعض التساؤلات عن طريق استيعاب الدوافع الاخلاقية والمعرفة العلمية فى العملية السببية ، ذاهبا الى أنهم فى ذاتهم يمثلون عوامل سببية تخضع للبحث السوسيولوجى والتعليم . لكن هذه الوجة من النظر لا تصمد أمام الصعوبات كلها . ففى لا توضح ما اذا كانت الغايات الاخلاقية والمعرفة الامبيريقية أو النظرية ، التى تتدخل فى تطور الحياة الاجتماعية بوصفها أسبابا ، هى أيضا نتاج للعملية السببية ، ومعنى ذلك أنه يتعذر فهم الظواهر الامبيريقية المجردة فى ضوء صحتها أو حقيقتها أو صدقها . وعلاوة على ذلك ، فيبدو أن أدلر يفترض ، على نحو شبيه جدا بماركس ذاته ، التقدم العام للتطور الاجتماعى ، وبعض الارتباطات المستقبلية بين التطور الواقعى للحياة الاقتصادية والسياسية وبلوغ شكل متفوق أخلاقيا للمجتمع .



ومن جهة أخرى ، فإن الماركسيين الهيجليين رفضوا التفرقة بين الواقع والقيمة ، وبين العلم والاخلاق . فقد ذهبوا الى أن الديانة الاجتماعية لا يمكن تناولها بوصفها موضوعا لعلم قادر على وصفها وتحليلها من الخارج . وفي هذا الصدد فإن الناس هم الموضوع والظاهرة ، ونمو معرفتهم عن المجتمع هو نمو للوعي الذاتى وحركة تحررية . ان المعرفة والفعل هنا لا ينفصلان ، وادراك الناس لمعرفتهم يحدد لهم فى الوقت ذاته كيف يتصرفون . وعلى النمط الماركسى أن يتخذ هذا التصور الهيجلى طابعا متميزا ، ذلك أن الموضوع ينظر اليه باعتبار موضوعا جمعيا ، طبقة اجتماعية . وعملية تزايد الوعي الذاتى تتوج الوعي الطبقي للبروليتاريا . لكن هذه النظرية أيضا ، تعجز عن استيعاب كل الصعوبات التى تثيرها العلاقة بين النظرية والممارسة ، فهى فى المحل الاول دتمية مثلها مثل النظرة الوضعية ، فخط التطور التاريخى قد تحدد الان فقط فى ضوء العقل الموضوعى أكثر من تحددته بصورة طبيعية . وفضلا عن ذلك ، فإن الاسس التى اقيمت عليها هذه الضرورة لا تخضع لنفس الانتقادات التى خضعت لها الوضعية ، فهى اقيمت عن طريق نوع معين من البصيرة هى منطق التاريخ أكثر من الملاحظة الامبيريقية ، ومن العسير أن ندرك كيف أن ضروب عدم الموازنة بين مختلف تفسيرات التاريخ يمكن مناقشتها بدقة اذا استبعدنا امكانية الاختبارات الامبيريقية — بصورة أو بأخرى — استبعادا تاما . وأخيرا يجب أن نلاحظ أن التصور الهيجلى من خلال تأكيده لفكرة ذروة نمو المعرفة ، انما يتخذ شكلا دوجماتيقيا . انه من الممكن تأكيد تحقيق

المعرفة المطلقة خلال أية مرحلة تاريخية ، سواء بواسطة هيجل وفكرته  
عن دولة بروسيا ، أو لوكاتش في تصوره المثالي للثورة الروسية ، ثم  
كيف بعد ذلك مناقضة هذه التصورات ، الا من خلال نوع من النقد  
الذي مارسه ماركس على النسق الهيجلي .

اننى لست معنيا هنا بأن أفحص بعمق مشكلات النظرية الماركسية  
الاخلاقية<sup>(٨)</sup> ، ولكننى مهتم فقط بالكشف عن علاقة هذه المشكلات بعلم  
الاجتماع الماركسي بوصفه خاصة كيف يمكن أن تؤثر في النظرة الماركسية  
للعلاقة بين النظرة الاجتماعية والممارسة الاجتماعية . لقد أصبح  
واضحا تماما ، في المناظرات التي شهدتها نهاية القرن التاسع عشر

---

(٨) ومع ذلك فتلك قضية عامة ومهمة في الفكر الماركسي . فكما لاحظ  
S. Stojanovic في دراسته القيمة بعنوان المثاليات والواقع  
Ideals and Reality (New York : Oxford University Press,  
1973).

«لقد حان الوقت لصياغة أخلاق ماركسية ، فتلك الاخلاق جديرة على الاقل  
بان ترتبط باسم ماركس» . (ص ١٢٧) ثم يستطرد مخلصا ، وبخاصة في  
الفصل التاسع من الاخلاق الثورية ، بعض القضايا للرئيسية التي يجب ان  
تتناولها نظرية الاخلاق . ولقد كان لوكاتش يقصد الى كتابة عمل منظم عن  
أخلاق الماركسية ولكنه لم يتمكن من انهاء اكثر من المقدمة المطولة التي تناولت  
مبحث التطولوجيا . لنظر :

Istvan Meszaros, Lukacs, Concept of Dialectic, London :  
The Merlin Press, (1972) PP. 6 : 7

• وهناك بعض الآراء المستندة عن الاخلاق الماركسية يمكن ان نقف عليها  
Leszek Kolakowski, Marxism and Beyond (London : Pall  
Mall Press, 1969).

وخصوصا تلك التي تناولت المسؤولية والتاريخ .

أن بعض القضايا الرئيسية فى النظرية الماركسية المتعلقة بتطور حركة الطبقة العاملة ، واندماجها فى السلوك السياسى ، وطبيعة التحول من مجتمع رأسمالى الى مجتمع اشتراكى ، تحتاج برمتها الى نقد علمى وأخلاقى معا . ومرارا ، منذ عهد برنشتاين حتى وقتنا هذا ، قد يندفع البعض الى الدفاع عن المحور الثورى للماركسية ضد مذاهب المراجعة والنزعات الاصلاحية ، لكن هذا الزعم لا معنى له ، اذا لم يصاحبه تحليل واقعى للقوى السياسية الفاعلة فى أشكال معينة للمجتمع الحديث (وبخاصة وجود أو غياب الطبقات الثورية ، سواء بشكل واقعى أو كاتجاهات تاريخية) ، وبواسطة تقويم الطابع التقدمى أو التدرى للحركات والنظم الثورية .

ان فكرة الثورة عند ماركس والماركسيين المتأخرين ، تمدنا بوضوح بنقطة مرجعية لمناقشة النظرية والممارسة ، و النشاط العلمى والنقدى ، ومن ثم فان علم الاجتماع الماركسى يجب أن يهتم على وجه الخصوص بتحليل المفاهيم ودراسة الخبرات التاريخية للثورة . ومع ذلك ، فبرغم أهمية هذا العمل ، لا نجد سوى قلة من المفكرين الماركسيين هى التى اهتمت بتقديم تحليل متعمق ونقدى لعمليات التغير الثورى فى العالم الحديث . فخلد نظر كورنثس Korsch — كما رأينا — الى فكرة التغير الثورى فى تعارضها مع التصورات الثورية ، بوصفها احدى المبادئ الاربعة لعلم الاجتماع الماركسى ، ونجد وجهة نظر مماثلة فى نقد جرامشى Gramsci لبوخارين Bukharin . ولكن هذه المسئلة

المنهجية — التي تتناول تاريخ المجتمع الانساني على انه يمثل سلسلة من الوثبات من شكل معين للبناء الاجتماعى الى شكل اخر — قد ظلت لفترة طويلة غير خاضعة للبحث . وعلى الرغم أنه من الواضح أنها تمثل مبدأ مثمرا يرشد البحث وله مبرراته فى التاريخ الاجتماعى الواقعى ، وبخاصة فى العصور الحديثة ، فإنه مبدأ يعجز عن الفحص الدقيق لمسائل مثل العلاقة بين التغير التطورى والثورى ، والارتباط بين الثورة والعنف ، ومعنى الثورة فى السياق الديمقراطى .

ويبدو لى أن اثنين من المفكرين الماركسيين قد أسهما أكثر من غيرهم فى التحليل الدقيق للثورة وهما : روزا لوكسمبرج Rosa Luxemburg فى مقالها عام ١٩١٨ عن الثورة الروسية ، ووتوبوير Otto Bauer فى عدد من المقالات والكتب التى نشرت فيما بين عامى ١٩١٩ — ١٩٣٦ وقد ظهرت مقتطفات منهم حديثا فى طبعة فرنسية<sup>(١)</sup> . ولا تمثل دراسة لوكسمبرج — كما لاحظ ناتل Nattl — مناقشة للسياسة انها فحص للقضايا الرئيسية عن الثورة . . . . لقد طبقت نتائج محكمة

---

Rosa Luxemburg, The Russian Revolution (English (١) edn. ed, Bertram D. Wolfe, Ann Arbor: University of Michigan Press, 1967); Yvon Bowrdet (ed.), Otto Bauer et la revolution (Paris : Etudes et Documentation International ales 1968).

وقد نوقشت مسألة للعنف — فيما يتعلق بالنظرية الماركسية للثورة — متأخرا فى :

M. Merleau Ponty, Humanisme et terreur (Paris : Gallimard, 1947).

ومنظمة على مجموعة جديدة من الوقائع<sup>(١٠)</sup> ، ومن ثم فهي أكدت العلاقة الوثيقة بين الثورة الاشتراكية والديمقراطية ، وانتقدت البلشفية في تفتيتها للمجلس الدستوري ، وغشها في إقامة الانتخابات والقضاء على حرية الصحافة وحرية التجمع والتنظيم ، والاستئساد المطلق الى الحكم الارهابي ، وفي بيان الخطورة المترتبة على ديكتاتورية الطبقة وتحولها الى ديكتاتورية الحزب أو الزمرة . ان الثورة تعنى هي رأى روزا لوكسمبرج حركة شعبية من أجل التحرر ، وليست اقامة نظام متسلط يحد من الحقوق الديمقراطية من أجل وضع قادة الثورة في مواقع القوة . ولقد كتبت تقول : لقد أخطأ لينين تماما في الاساليب التي استخدمها مثل المرسوم والمراقبة الديكتاتورية للعمال هي المصانع ، والعقوبات القاسية ، والحكم الارهابي ، فكل هذه الاشياء لا تريد عن كونها مسكات . ان الطريق الوحيد للميلاد هو مدرسة الحياة العامة ذاتها ، والديمقراطية الشاملة غير المحدودة ، والرأى العام ، أما الحكم الارهابي فهو الذي يقوض الاخلاقيات .

ومع ذلك ، فان روزا لوكسمبرج لم تبحث بعمق هذه المشكلات، ربما كانت قد فعلت ذلك اذا كتبت لها الحياة حتى ترى خبرة المجتمع السوفيتي . وهكذا فهي لم تهتم بالتساؤل عما اذا كان التحول نحسو الاشتراكية ممكنا كلية ، اذا لم يصل المجتمع البورجوازي فعلا الى

---

J. P. Nettl, Rosa Luxemburg (London : Oxford University Press, 1966) II, 703 - 4. (١٠)

مرحلة متقدمة من التطور فى مستويات الانتاجية والاستهلاك ،  
 والممارسات الديمقراطية ، وتزايد الخبرة فى ممارسة الحقوق  
 الديمقراطية ، وانتشار الثقافة العلمية والانسانية ، تلك التى تضع  
 اسسا ثابتة لاستمرار الحرية الانسانية . وربما تجاهلت بعض هذه  
 الافكار حين تبدو اصلادية على طريقة كوتسكى ، وذلك بالرغم من أن  
 ملاحظاتها الختامية بأن الثورة الروسية تطرح فقط المشكلات ولا تحلها ،  
 ومن ثم ، فهذا يوحى بأنها تنظر الى اقامة الاشتراكية فى العالم على  
 أساس نجاح الثورات الاشتراكية فى بعض المجتمعات الرأسمالية الأكثر  
 تقدما . وكذلك ، فانها لم تهتم ببيان نتائج العنف الثورى المتمثلة فى  
 نظام سياسى هيراركى متسلط ، يستمد استمراريته من الارهاب ،  
 ويخلق نظاما اجتماعية واتجاهات قد يتعذر اصلاحها على ندوديمقراطى

ولقد حلل أوتو بوير أيضا الثورة الروسية<sup>(١١)</sup> ، التى نظرت اليها  
 — مع ذلك — من حيث محتواها الاقتصادى والاجتماعى — على أنها  
 ثورة بورجوازية ديمقراطية قادها حزب الطبقة العاملة لظروف خاصة  
 ظهرت فى روسيا . وقد اعتقد فى ذلك الوقت أن الحزب البلاشيفى قد  
 يحرر حكمه ، ويتخضع الطابع البورجوازى للثورة أكثر ، ولكن حتى فى  
 الجمهورية البورجوازية سوف تحتفظ الطبقة العاملة بكثير من مكاسبها ،  
 وتظل روسيا عاملا قويا فى تطور ديمقراطية الطبقة العاملة فى العالم

---

(١١) ذكر فى كتاب نشر عام ١٩٢١ ، لنظر :

Bourdet, Otto Bauer, PP. 73 - 84.

ومع ذلك ، فإن أهم أسهام قدمه بوير فى دراسة الثورة هو نظريته فى الثورة البطيئة Slow Revolution (١٣) فقد أقام تفرقة (كما فعل ماركس) بين الثورة السياسية والثورة الاجتماعية ، الاولى قد تكون فجائية وعنيفة ، ولكنها اذا لم تصاحب بتغيرات أساسية فى علاقات الانتاج وفى العلاقات الاجتماعية سوف لا تسفر عن أكثر من احلال أقلية حاكمة محل أخرى . وتشكل التغيرات فى العلاقات الاجتماعية : ابتداء من مجال الانتاج ، الثورة الاجتماعية التى تنمو بطريقة أكثر ببطء ، ويمكن بناء المجتمع الاشتراكى تدريجيا ، خلال فترة طويلة من الزمن ، من خلال الاصلاحات الجذرية فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية .

والثورة الاجتماعية فى معالجة بوير تمثل الى حد كبير عملية اعادة تنظيم تتبع الثورة السياسية ، وقهر القوة بواسطة الطبقة العاملة . ولكن يبدو لى أكثر واقعية وبصيرة أن ندرك وجود حقبة للثورة الاجتماعية ، بمعنى لفترة طويلة للتغير الاجتماعى والصراع ، يحدث خلالها انهيار تدريجى لنظم المجتمع القديم ثم تكوين المجتمع الجديد ، بحيث تظهر خلال هذه الحقبة ثورات سياسية متنوعة ، بعضها غير ناضج وبعضها ينجح فى تحقيق نمو أفضل فى الحرية والمساواة . ويبدو أن هذا التصور يلائم بصورة أفضل ظهور المجتمع الرأسمالى ، الذى لم

---

In : Der Weg, zum Sozialismus (Vienna : Wiener (١٢) Walksbuch - handlung, 1919); See Bourdet, Otto Bauer, PP. 87 - 130.

يكن بالقطع نتاجا لاية ثورة سياسية هريدة (على الرغم من أن كثيرا من خصائصه قد تحققت بواسطة الثورة الفرنسية) ، ولكنه جاء نتاجا لسلسلة طويلة من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ومجموعة من الصراعات السياسية كان لكل منها شكله الخاص فى كل مجتمع . ومن هذا المنظور ، نستطيع أن ننظر الى الفترة من أواخر القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا ، على إنها فترة الثورة الاشتراكية ، التى أسهمت فى احداثها الثورة الروسية ، والحركات الثورية فى أوربا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية ، والصراعات والتناقضات السياسية العديدة ، فتلك جميعا تمثل محاولات لتقديم نموذج جديد للمجتمع فى سباق التحول التدريجى للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والقيم الثقافية .

غير أن هذا التفسير يبدو مبدئيا اذا قورن بأية معالجة تاريخية لاصول المجتمع الرأسمالى ، اذ نحن لا نزال نعيش فى هذه التغيرات ، وعلى الرغم من أننا نستطيع أن نقبض على التيارات الرئيسية للنمو ، فاننى لا أعتقد أن هناك أية طريق يمكن أن نسلكه لكى نعرف من خلاله كيف ستتعدل مجتمعات اليوم ، أو ما هى نماذج المجتمعات اللاحقة عليها (١٢) .

---

(١٢) فعلى سبيل المثال ، تم تفسير العديد من الثورات والحركات السياسية فى القرن العشرين بوصفها عناصر فى انتقال وتحول ، ليس من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وإنما من المجتمعات للزراعية الى المجتمعات الصناعية ، وذلك كما اعتقد :

Barrington Moore, *Social Origins of Dictatorship and Democracy* (Boston : Beacon Press, 1966).



وإذا أمكننا فقط أن ندرك علم الاجتماع الماركسي من زاوية وضعية قوية ، ونعتقد في ذات الوقت أنه نجح في صياغة بعض القوانين السببية الهامة جدا التي تسمح لنا بالتنبؤ بمستقبل تطور المجتمع ككل وبالتفصيل<sup>(١٤)</sup> ، أو بدلا من ذلك ، إذا أدركناه كفلسفة تاريخ تقدم لنا استبصارا محددا ودقيقا للهدف النهائي للتاريخ ، فإننا حينئذ سوف نتمكن من معالجة امكانية التحول نحو الاشتراكية بوصفها ضرورة ولا يبدو لي أي من هذين الموقفين ممكنا في ضوء المشكلات العديدة التي تواجه صياغة النظريات السوسيولوجية واختبارها ومقارنتها، ومن ناحية أخرى ، فكلاهما يشجع التأكيد الدوجماتيقي أكثر من البحث النقدي .

ان علم الاجتماع الماركسي ، شأنه شأن النظريات السوسيولوجية الأخرى ، يحتاج الى تطور تجريبي ونقدي ذاتي . وهدفه ينبغي أن يكون تقديم وصف مثير ، واقامة ارتباطات دالة ، وصياغة تفسيرات سببية ، ان كان ذلك ممكنا ، (سوف تكون على أية حال ذات عمومية محدودة) ، ويدرك في الوقت ذاته أن النشاط الحر الواعي للناس يحقق لهم في الواقع القدرة على تغيير قوانين الفكر الماركسي اذا أخذنا بشكل جدي التفرقة بين ما قبل التاريخ وبين التاريخ<sup>(١٥)</sup> وهكذا فان الاطار

(١٤) ربما كما ادعى ماركس في الفقرة التي أوردتها سابقا (ص : ١٢ وما بعدها) من مقدمة للطبعة الثانية لكتاب رأس المال Capital .

(١٥) انظر بصفة خاصة المناقشة التي في :

= Gago Petrovic, Marxism in the Mid - Twentieth Century,

النظري يقف في علاقة مختلفة مع الحياة العملية • وكما أوضحت سابقا لا يمكن النظر الى هذه العلاقة على انها تطبيق لنظرية صحيحة ، من أجل تحقيق غاية مرغوبة (ومتبناه) ، ولكن علاقة نامية متفاعلة بين الفكر الاجتماعي والعمل الاجتماعي ، بحيث يصنع الفكر نفسه من خلال البحث في الافعال الماضية والتفكير فيها وفي نتائجها ، ويظل مفتوحا لاستقبال التجديد الاصيل في عملية الخلق الانساني الذاتي •

ومع ذلك ، فلا يجب أن نفترض أن هذه التساؤلات تشار فقط في علم الاجتماع الماركسي • فكل علوم الاجتماع — بل وكل العلوم الاجتماعية في هذا الصدد — لديها وعي ذاتي ، وقصد ، وعلاقة مباشرة بالحياة الاجتماعية العملية ، وفي الحقيقة قد طورت ، في المجتمعات نتيجة لهذا التصور ، تنظيما أو تخطيطا واعيا ومقصودا للوجود الاجتماعي للانسان • وثمة ميزة خاصة للفكر الماركسي هي أنه يركز انتباهه بوضوح ظاهر على تلك الصلة بين النظرية والممارسة ، وأحد جوانب ضعفه الاساسية هو أنه أصبح ملتزما أكثر لنوع معين من الممارسة ، وبخاصة حينما تتجسد هذه الممارسة في أنشطة حزب سياسي منظم ، وهنا تعالج النظرية بوصفها غير قابلة للنقد ، أو بوصفها بناء لحقائق يجب الدفاع عنها بأية ثمن من أجل ضمان استمرار الممارسة • وهكذا فحينما ننظر الى صدق وقيمة علم الاجتماع الماركسي في علاقته

---

(Garden City, N. Y.: Doubleday Anchor, 1967) PP. 90-114 =  
الذي يستنتج أن الشيء الاساسي لفكر ماركس هو فهم أن الانسان : ليس حيوان اقتصادي ، ولكنه كائن اجتماعي عملي ، ومن ثم حر ، وكلّي ، وخالق ، ومجدد لذاته •

بالنظريات السوسيولوجية الأخرى ، فإننا نحتاج إلى الاهتمام ليس فقط بنماذج البناء الاجتماعي وقضاياها التفسيرية أو التأويلية ، ولكننا بحاجة أيضا إلى معرفة كيف يتمكن هو ومنافسيه ، من إدراك علاقته بالسلوك العملي في الحياة الاجتماعية ، وبخاصة السلوك السياسي ووضع هذه العلاقة موضع التنفيذ •

## الفصل الخامس

علم الاجتماع الماركسي وعلوم الاجتماع الأخرى



## علم الاجتماع الماركسي وعلوم الاجتماع الأخرى

هناك أسباب عديدة تدعونا إلى الاقتراب بحذر وشك نحو محاولة تصوير الماركسية بوصفها نظرية سوسيولوجية متميزة • فأولا ، كما أوضحنا مناقشاتنا السابقة ، أن الماركسية ذاتها بعيدة عن أن تكون بناءً فكرياً متجانساً أو موحدًا • فالجدل الذي ثار خلال المائة سنة الماضية قد أدى إلى ظهور تفسيرات مختلفة ، بل ومدارس متنوعة للفكر الماركسي • إننا نجد انقساماً رئيسياً بين أولئك الذين يتصورونها أساساً باعتبارها علماً اجتماعياً عاماً ، أو علم اجتماع ، لكن لا تزال ثمة فروق عديدة في الرأي داخل هذه التصورات العامة — حول الأفكار الرئيسية للنظرية الماركسية ، وحول علاقة التحليل الماركسي باختيار السلوك السياسي تحت أية ظروف خاصة •

وفي ضوء تصور الماركسية بوصفها نظرة للعالم ، يلاحظ أن مكانة علم الاجتماع تبدو غير مؤكدة تماماً • وربما هناك نوع من التجاهل التام للحاجة إلى وجود علم اجتماعي عام ، أو كان دوره محدوداً — كما أشار جرامشي — في إجراء مسح اجتماعي (أي ما يمكن أن نطلق عليه بشكل أفضل الإحصاءات الاجتماعية) • ومن جهة أخرى ، فإنه يمكن إدراك نظرية معينة عن المجتمع باعتبارها معتمدة كلية على النظرة إلى العالم أي على الأنطولوجيا ، ونظرية المعرفة ، والأخلاق ، ومن ثم بإمكاننا أن نعرف علم الاجتماع الماركسي مثلما نعرف علم الاجتماع المسيحي Christian Sociology وعلم الاجتماع الهندي Hindu Sociology .

وربما علم الاجتماع الانساني Humanist Sociology • لكن هذه لا تبدو فكرة مثمرة — وهى بالتأكيد لا تحظى باهتمام الفكر الماركسى — لانه بالرغم من أن كل نظرية سوسيولوجية تثير تساؤلات فلسفية ، تحتاج الى الاهتمام بها من وجهة نظر فلسفة العلم وعلم الاجتماع المعرفى أيضا ، فانه ليس من الضرورى مطلقا أن يكون بناء النظريات السوسيولوجية وتطويرها معتمدا ، على الرجوع بشكل مستمر الى نظرة شاملة للعالم •

ومع ذلك ، اذا تبيننا المبدأ التصورى الاخر وعالجنا الماركسية بوصفها أساسا ، نظرية سوسيولوجية ، فان صعوبات أخرى سوف تواجهنا ، لان علم الاجتماع أيضا بعيد عن أن يكون بمثابة بناء متجانس وموحد للفكر • فمنذ البداية ، على الرغم من وجود نظريات ومشكلات عامة ، فان هناك مدارس متنوعة ، وتساؤلات عديدة لم تحسم بعد ، ونظريات غير مؤكدة ، وفى السنوات الاخيرة بلغ تعدد المذاهب ووجهات النظر مرحلة نظر اليها البعض على أنها تمثل أزمة ثقافية حادة ، واعتبرها اخرون (أكثر تشاؤما) مرحلة عدم تكامل كلى • ولكي نعرف الخصائص المتميزة لعلم الاجتماع الماركسى ، ونحكم على صدقه وتراثه فى صلتها بعلوم الاجتماع الاخرى ، نحن نحتاج الى اطار أكثر شمولاً واستقراراً — نسبياً — من المفاهيم التى تحدد لنا ما هى النظرية السوسيولوجية الصحيحة ، وما هو المنهج الملائم ، ونحتاج أيضا الى معايير مقبولة لاختبار القضايا والحكم عليها • ومع ذلك ، هكل هذه المسائل لا تزال محل نقاش ، وكل ما حدث هو نوع من التآلف

الغريب بين الفكر الماركسى وغير الماركسى الذى يتبنى قضية رئيسية  
— مثل الوضعية ، والفينومينولوجيا • • الخ — بوصفها تمثل منطق علم  
الاجتماع •

وأخيرا ، هناك صعوبة ثالثة ، ترتبط الى حد ما بما اقترحتة الان ،  
فيما يتعلق بتحديد علم الاجتماع الماركسى • فمن الواضح أن بعض  
نماذج الماركسية قد تأثرت الى حد كبير ، بأنواع أخرى من الفكر  
الاجتماعى وانطوت على بعض أفكار منها ، مثل الفينومينولوجيا ،  
والوجودية ، والبنوية • ولا يزال مهما فى هذه الحالة أيضا القول بأن  
الفكر السوسيولوجى قد انطوى أيضا على تصورات ماركسية ، حتى  
وان كانت معدلة ، مثل مفاهيم الطبقة ، والصراع الطبقي ،  
والايدولوجيا ، وأن بعض المناقشات الهامة فى علم الاجتماع قد دارت  
حول أفكار ونظريات مستمدة من فكر ماركس • ونحن نوافق ، الى حد ما  
على أن عملية تمثيل أو هضم قد حدثت بالفعل على النحو الذى وضعه  
كولاكوفسكى Kolakowski كلما تقدمت أساليب البحث فى الانسانيات  
فإن مفهوم الماركسية باعتبارها مدرسة فكرية منفصلة سوف يصبح  
غير ذى موضوع وربما اختفى نهائيا « • • • وما هو دائم فى أعمال ماركس  
سوف يتم هضمه خلال التطور الطبيعى للعلم » <sup>(١)</sup> وبالطبع هناك نتائج  
محتملة عديدة ، فقد يصبح علم الاجتماع ماركسيا بصورة أوضح اذا

---

Leszek Kolakowski, *Marxism and Beyond* (London: (١) Pall Mall Press, 1969 P. 204.



صُمِدَت مجموعة كثيرة من القضايا الرئيسية لماركس أمام النقد الذى أثير ضدها ، أو من جهة أخرى قد يخضع جانب كبير من أعمال ماركس لمراجعة أساسية ، وقد يهمل كلية ، نتيجة للمكتشفات الجديدة بحيث لا تبقى سوى آثار لأفكار محدودة فى بناء الفكر السوسيولوجي .

وإذا أخذنا فى الاعتبار هذه الصعوبات أستطيع أن أحدد ما يبدو لى متميزا وإذا قيمة فى الماركسية بوصفها علم اجتماع ، أخذا فى اعتبارى أن مناقشتى هذه إنما تعتمد على تصور خاص لمجال علم الاجتماع والماركسية وأهدافهما . فعلم الاجتماع هو علم امبيريقى يتضمن قضايا واقعية ذات أنواع مختلفة داخل إطار نظرى ، ويهدف الى صياغة تصنيفات للظواهر الاجتماعية ، والارتباطات الوظيفية ، والعلاقات السببية أو شبه السببية<sup>(٢)</sup> ، والماركسية هى مداولة لبناء ونظير علم اجتماع عام فى هذا الصدد .

ولعل هناك نقطة بدء مفيدة لهذه المناقشة تتمثل فى محاولة كارل كورنش Karl Korsch وصف مبادئ علم الاجتماع الماركسى . فإذا تركنا جانبا مسألة التطبيق التى عرضتها فى الفصل السابق ،

---

(٢) أعنى بشبه السببية ، نموذج من العلاقة السببية يتوسط للوعى فيه ، الارتباط بين السبب والنتيجة ، انظر مناقشة فى :

G H. Von Wright, *Explanation and Understanding* (London: Roulledge & Kegan Paul, 1971) chapter IV.

وهذا له أيضا علاقة بالمشكلات التى تتعلق بطبيعة الملاحظات التى يمكن القيام بها فى البحث للسوسيولوجي .

سنجد أن ثمة نقاطاً أربعة رئيسية في معالجة كورتش • أولا : أولوية البناء الاقتصادي في التحليل الماركسي للمجتمع ذلك الذي عبر عنه كورتش بقوله يمكننا النظر الى الماركسية بوصفها اقتصادا سياسيا أكثر من كونها علم اجتماع ، وثانيا : التحديد التاريخي لكل الظواهر الاجتماعية داخل اطار اقتصادي ، ورابعا : الاعتراف بالتغيرات الاجتماعية ، وثالثا : وضع الدراسات الامبيريقية لبعض الظواهر الاجتماعية الثورية تماما مثل التغيرات التطورية - لصَـرُوب التقدم والانهيـار في السياق التاريخي والتحول من مجتمع لآخر •

وفيما يتعلق بالنقطة الاولى ، فهي ولا شك توضح إحد السمات المميزة للنظرية الاجتماعية الماركسية • فليس الامر ببساطة أن جانباً كبيراً من علم الاجتماع الحديث قد تجاهل البناء الاقتصادي ، أو منحه مكانة محدودة ، في تحليل النسق الاجتماعي الشامل (بحيث ظهر علم الاجتماع كما لو أنه علم يثأول الجوانب غـَـيـر الاقتصادية للحياة الاجتماعية) ، ولكن المسألة هي أنه لا توجد نظرية سوسيولوجية أخرى جعلت من «أسلوب انتاج الحياة المادية» إحدى مقولاتها الرئيسية. ولقد سبق أن وصفت هذا الفارق في موضع آخر : «على العكس من النظريات السوسيولوجية الأخرى التي تتناول المجتمع كموضوع مستقل، هو تسلم بوجوده في العالم الطبيعي تسليماً مطلقاً ، فإن نظرية ماركس اعتمدت أساساً على فكرة العلاقة بين المجتمع وبين الطبيعة • والمفهوم الرئيسي فيها هو «العمل الانساني» منظورا اليه من وجهة نظر تاريخية ، أن

التفاعل المتطور بين الانسان والطبيعة هو الذى يخلق العلاقات الاجتماعية بين الناس ويحقق تطورها التقدمى « (٣) » .

لكن هذه الفكرة الرئيسية قد أثارت نقدا سواء داخل نطاق الفكر الماركسى أو خارجه ، كذلك أوجدت مسألة العلاقة بين الاساس الاقتصادى والبناء الفوقى الاجتماعى والثقافى العديد من الصعوبات التفسيرية . وليس من اليسير صياغة — سواء بطريقة عامة أو على أساس حالات خاصة — القوى الحتمية المحددة للتغيرات الاقتصادية ، فى مقابل تنوع المؤثرات الاجتماعية الأخرى ، وذلك اذا كانت أولوية الاقتصاد مؤكدة لتجنب الوصول الى تأويل تكنولوجى للتاريخ .

ولقد وجه كثير من علماء الاجتماع الذين انتقدوا الماركسية، الانتباه الى أهمية العوامل غير الاجتماعية فى التطور الاجتماعى ، ولعل أشهر هذه الانتقادات تلك المعالجة التى قدمها ماكس فيبر عن دور الاخلاق البروتستانتية فى تطور الرأسمالية الغربية ، وتتبعه لعملية العقلانية فى الحياة الاجتماعية . بهدف تعديل النظرية الماركسية واستكمالها . وقد اتخذ تالكوت بارسونز T. Parsons حديثا ، اتجاها أكثر تطرفا حينما استبدل التفسير المادى للتاريخ بتفسير آخر روحانى Spiritualist حيث كتب يقول : «اننى اعتقد ، أنه داخل النسق الاجتماعى ، تحتل العناصر المعيارية أهمية تفوق المصالح المادية للوحدات المكونة لهما

---

T. B. Bottomore (ed), Karl Marx (Englewood Cliffs (٢)  
N. J. : Prentice - Hall, 1973) PP : 38 - 9.

يتعلق بالتغير الاجتماعى<sup>(٤)</sup> . ومع ذلك ، فهذا تأكيد لاعتقاد ، بدون إقامة براهين عليه . ومن الواضح أن كثيرا من القوى غير الاقتصادية فى الحياة الاجتماعية ، والتي قد تكون مستقلة — بدرجة تقل أو تكبر — برغم ارتباطها أحيانا بالمصالح الاقتصادية . وذلك مثل نمو العلم . والقومية ، والديمقراطية السياسية ، والمعتقدات الدينية والجماعات الدينية ، وجماعات الاقلية ، لها تأثير هام على التغير الاجتماعى وظهور الصراعات الاجتماعية . . ومثل هذه القوى غالبا ما تجاهلها المفكرون الماركسيون ، وحينما تؤخذ فى الاعتبار كان يتعذر ادماجها فى اطار التفسير الاساسى فى ضوء تطور أسلوب الانتاج والعلاقات الطبقيّة<sup>(٥)</sup> .

وثمة نقد راديكالى آخر للاساس الذى نهضت عليه نظرية ماركس ، وهو مفهوم العمل الانسانى ، صاغته مدرسة فرانكفورت<sup>(٦)</sup> ولقد وجه

---

(٤) Talcott Parsons, Societies : Evolutionary and Comparative Perspectives (Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall, 1966) P : 113.

(٥) اهتم الماركسيون للنمساويون أكثر من للكتاب الماركسيين الآخرين بتحليل الجنسية والقومية ، ذلك أنهم واجهوا هذه المسائل فى الحياة السياسية داخل الامبراطورية النمساوية — الهنغارية . انظر بصفة خاصة :

Otto Bauer, Die Nationalitätenfrage und die Sozialdemokratie, (Vienna : Marx - Studien, 2, 1907).

(٦) انظر خاصة :

Jurgen Habermas, Knowledge and Human Interests (London : Heinemann, 1972).

== المناقشات العامة لهذه المسألة فى :

هذا النقد الى الفكرة التى مؤداها ، أن الماركسية تفسر التطور التاريخي للمجتمع الانساني فقط فى ضوء العمل منظورا اليه على أنه يعنى انتاج الاشياء المادية ، وثمة موقف يتعارض مع هذه الفكرة . وهو النظرة الى الطبيعة البشرية والخالق الذاتى الانساني على أنهما يرتكزان على خاصيتين للانسان هما : الانسان بوصفه صانعا للادوات ، ومستخدم للغة . وهكذا ، فرق هيرمانس Habermas بين جانبين للنشاط البشرى هما : العمل و التفاعل ، أو السلوك الخرائى instrumental behaviour وبالمطبع فان هذه الافكار مشتقة الى حد كبير من أعمال ماركس الخاصة ، طالما أنه غالبا ما يستخدم مفهوم العمل بمعنى عام جدا (وبخاصة فى كتاباته المبكرة) ، بحيث يمكن فهمه بوصفه معادلا للنشاط الانساني ، أو لممارسة القوى الانسانية المبدعة بعامة ، سواء فى تطور الانتاج المادى ، أو فى بناء النظم الاجتماعية ، أو فى خلق الظواهر الثقافية . ولكن لا يزال الامر يستوجب الاشارة الى أن النظرية التاريخية والسوسيولوجية عند ماركس قد أعطت أهمية قصوى لتطور أشكال العمل والانتاج المادى ، والمراع الطبقي الناشئ مباشرة عن الظروف الاقتصادية . ولقد أدى النقد الذى وجهته مدرسة فرانكفورت الى هذا المفهوم الى اعادة ادخال الفلسفة المثالية الالمانية (فى تشكيل نشاط العقل المجرد) وعدم التحديد فى تفسير الأحداث الاجتماعية،

---

Albrecht Wellmer, Critical Theory of Society, Chapter 2. =  
وقد صيغت بعض الافكار التى قام عليها هذا النقد الاخير ، أصلا فى ١٩٣٠ بواسطة ماكس هوركهايمر M. Horkheimer ؛ انظر مقالاته المجمعة فى Kritische Theorie (Frankfurt : S. Fischer, 1968).

لأنها استبعدت من موقفها المبدأ الاساسى الفريد للاكتشاف والتفسير الذى قدمه ماركس فى تفسيره الاقتصادى • ان التميز الذى يتسم به علم الاجتماع الماركسى قد أصبح غامضا فى اطار فلسفة جديدة للتاريخ تمنح تأكيدا أكبر لدور العوامل الروحية فى التطور الاجتماعى، ولكنها فى الوقت ذاته أقل قدرة على ان تحدد بوضوح القوى الفاعلة فى الصراعات الاجتماعية أو التيارات الرئيسية للتغير الاجتماعى •

والسمة المميزة الثانية لعلم الاجتماع الماركسى فيما يرى كورتش ، هى مبدأ التخصيص التاريخى historical Specification • وهذا المبدأ لا يفصل تماما بين الماركسية وعلوم الاجتماع الاخرى ، طالما أن كثير من هذه العلوم التطورية الاجتماعية فى القرن التاسع عشر ، وعلم الاجتماع التاريخى عند ماكس فيبر — قد حاولت أن تربط بين ظواهر اجتماعية معينة وبين الخصائص العامة لحقبة تاريخية أو نمط معين من المجتمعات • وربما كان محتوى الاطار التاريخى الماركسى — وبخاصة تصنيفه للمجتمعات ، وفى ضوء أساليب انتاجها والمرحلة التى بلغت فى تتابع وصفه ماركس بأنه يمثل الحقبات التقدمية فى التكوين الاقتصادى للمجتمع — هو المسئول عن الفروق • غير ان هذا الجانب أيضا من النظرية الماركسية قد خضع لنقد غير قليل ، مرة أخرى من داخل الماركسية ومن خارجها • أولا ، فهناك الصعوبة البالغة التى تواجه وضع ذلك النموذج للمجتمع الذى أطلق عليه ماركس النموذج الاسيوى

Asiatic داخل الاطار الماركسي<sup>(٧)</sup> . وفضلا عن ذلك ، ويبدو أن نمودجين للمجتمعات ميزهما ماركس وهما المجتمع الاقطاعي والرأسمالي الحديث قد خضعا أكثر من غيرهما للتحليل الماركسي ، وهما بالتأكيد حظيا بالدراسة ، على حين أن الدراسات الماركسية لما أطلق عليه ماركس اسم الشيوعية البدائية كانت أقل شيوعا وأدنى ثراء<sup>(٨)</sup> .

ومع ذلك كانت هناك أيضا انتقادات جوهرية للمدخل التاريخي

---

(٧) انظر مقالة George Lichtheim ، ماركس والاسلوب الاسيوي للإنتاج ، التي أعيد طبعها في كتابه :

'The Concept of Ideology and Other Essays (New York : Random House, 1976)

انظر أيضا المناقشة العامة لمشروع ماركس للتاريخي ، بواسطة لريك هوبسباوم Eric Hobsbawm في مقدمته لـ :

Karl Marx, Pre-Capitalist Economic formations (London : Lawrence & Wishart, 1964).

(٨) انظر من أجل القيمة العامة للماركسية والانثروبولوجيا الاجتماعية :

Raymond Firth, The Sceptical Anthropologist ? Social Anthropology and Marxist Views on Society, Proceedings of the British Academy, Vol. LVIII (London, 1972).

وكان ماركس نفسه اهتمام قوى بالأشكال الأولى للمجتمع . وقد كرس وقتا كبيرا في السنولت للقليلة الأخيرة لحياته للدراسات في هذا المجال . وقد نشرت حديثا مذكراته عن تلك الحقبة مع تطبيق شامل بواسطة :

L. Krader (ed.), The Ethnological Notebooks of Karl Marx (Assen : Van Gorcum, 1972).

وتمننا بمادة مفيدة لإعادة تقييم للتصور الماركسي عن المجتمعات الأولى . وهناك - كما أشار Firth - لحياء كبير للاهتمام بهذه المجتمعات في الوقت الحاضر ، في الانثروبولوجيا الماركسية للنقدية ، وبخاصة فيما يتعلق بالنزعة الاستعمارية والمجتمعات الريفية .

الماركسى ككل، أثارتها المدرسة البنوية الحديثة<sup>(٩)</sup> . وربما يمكن توضيح طبيعة هذه الانتقادات بإيجاز من أعمال كلود ليفي ستروس - C. Levi Strauss الذى يستهدف فى أعماله تغطية العناصر البنائية الرئيسية والعامية فى كل المجتمعات البشرية . وكما كتب فى الفصل الختامى فى كتابه : العقل المتوحش The Savage Mind فى جلدته مع سارتر Sartre يقول : «يحاول التحليل الانثروبولوجى أن يصل الى الاسس الكامنة خلف التباين الواقعى للمجتمعات البشرية...» وهذا لا يشبه النظرة التى تبنتها المدرسة البنائية الوظيفية العامة للمجتمع ، والفارق الاساسى يكمن فى مطلب ليفي ستروس من أنه مهتم بالمستويات الاعمق للبناء ، ورغبته فى تحقيق الارتباط بين العناصر البنائية للمجتمع وبين بناء العقل البشرى ، وربما بناء المخ ذاته (ومن هنا تأتى الفزعة الاختزالية لهذا المنهج) . لقد كان منهجه غير تاريخى . ومن المفيد أن ندخل الى الوعى التاريخى للبحث من المعنى الحقيقى ، وأن نقيم التاريخ والانثروبولوجيا (او علم الاجتماع) بوصفهما نظامين يكمل أحدهما الآخر ، ولكن لا يمكن ، ولا يجب أن تكون ثمة انثروبولوجيا تاريخية أو علم اجتماع تاريخى . ولكن على الرغم من النموذج البنوى للبحث قد أسفر عن مادة مثيرة للاهتمام (وبخاصة فى اللغويات ، وبشكل

---

(٩) قدمت الافكار لارئيسية للبنوية ولنفقحت فى :

David Robey (ed.), Structuralism : An Introduction (Oxford : University Press, 1973). and in : W. G. Runciman, Sociology in its place (Cambridge : University Press, 1970) Chapter 2, 'What Is Structuralism ?'



محدود في الأنثروبولوجيا) فإن إسهامه في علم الاجتماع لم يكن إسهاما ذي أهمية كبيرة ، فهو يتجنب التساؤلات الرئيسية ، وهي بالتحديد تلك المتعلقة بمحددات الاشكال المتنوعة للبناء الاجتماعي والممر التاريخي بين كل شكل واخر .

وثمة مرحلة سابقة وممهدة للبنوية شهدتها الماركسية في صورة إسهامات التوسيع Althusser <sup>(١٠)</sup> ومن العسير بالطبع أن أتناول هنا هذا الفكر <sup>(١١)</sup> ، لكن الطريقة التي تم من خلالها تناول العلاقة بين البناء والتاريخ قد اتضحت في مقال موريس جودلييه M. Godelier <sup>(١٢)</sup> فبعد مناقشة بسيطة تهدف الى بيان أن ماركس كان بنويا ، نجده يزعم أولوية التحليل البنوي على التحليل الماركسي : أن نشوء البناء يمكن أن يدرس فقط في ضوء توجيه من تلك المعرفة المبدئية التي تتوافر لدينا عن البناء ، ولكن العكس يبدو أيضا صحيح في حالة التحليل الماركسي ، فبناء تكوين اجتماعي معين (مثل الرأسمالية) يمكن دراسته أيضا على أساس ما هو متوافر من معلومات سابقة على الاطار التاريخي

(١٠) انظر وصفه خاصة في

Louis Althusser and Etienne Balibar, Reading Capital (London New Left Books, 1970).

(١١) وقد قوضت ادعاءاته بذلك في مقالة :

L. Kolakowski, 'Althusser's Marx', The Socialist Register (London : The Merlin Press, 1977) PP. 111 - 28.

Maurice Godelier, 'System, Structure and Contradiction in Capital', The Socialist Register (London : The Merlin Press, 1967) PP : 91 - 119.

بديث تعطينا تعريفا مبدئيا لخصائصه وموقعه من هذا الاطار . ان علم الاجتماع الماركسى يتضمن تحليلا تاريخيا وبنائيا ، وحركة دائمة بين هذين الاتجاهين .

وينطوى الاتجاه البنىوى على محاولة أخرى لتضييق نطاق الماركسية اذ يبدو أنه يزعم أنه حينما يتعذر الكشف عن البناء الاساسى لتكوين اجتماعى معين ، فان علينا أن نبحث فى ظاهرة نشوء وتحول هذا البناء باعتبارها احدى ملامح هذا البناء المجرد ذاته . وهكذا ، تم اختزال العملية التاريخية الى «رقصة شبح بين مقولات لا حياة فيها» كما أن التفاعل بين بناء معين ، من جهة ، والانشطة الواعية لحياة الافراد والجماعات من جهة أخرى — تلك التى تحتل أهمية خاصة فى معالجة ماركس للتغير الاجتماعى — قد حذفت تماما من هذا الاطار التفسيرى . ونحتاج هنا الى اضافة أن التحليل البنىوى لم يطور بعد أية تفسيرات مستنيرة للتيارات الرئيسية فى تطور المجتمعات الرأسمالية فى القرن العشرين .

والمسألة الثالثة التى أثارها كورتش يمكن معالجتها هنا باختصار . فكما أشرت سابقا ، لقد فشل علم الاجتماع الماركسى الى حد كبير فى تطوير دراسات امبيريقية لظواهر اجتماعية معينة . اذ لم يكن هناك اسهامات ماركسية هامة وشاملة فى دراسة الجريمة والانحراف والبيروقراطية ، والاحزاب السياسية ، والاسرة ، ولعدد كبير اخر من مجالات البحث ، بل وحتى فى دراسة الطبقات والتدرج الاجتماعى

— التى تشغل مكانة رئيسية فى النظرية الماركسية — ان هناك غيابا ملحوظا للبحوث التاريخية والسوسيولوجية . كذلك يمكن القول أن علم الاجتماع الماركسى لم يلعب دورا تجديديا فى فتح ميادين جديدة للبحث ، وتطوير نظريات جديدة ، تلك التى كان يجب أن تظهر خلال تطوره العلمى ، نتيجة لاصالة صياغاته الاولى . وفى السنوات الاخيرة ظهرت علامات تأثير واضحة للفكر الماركسى على البحث الاجتماعى ، وتطوير أفضل للنظرية الماركسية مرتكزا على البحث . ومن الامثلة على ذلك ، تأثير الدراسات النقدية التى جاءت نتاجا للماركسية ، وعلى الرغم من أنها راجعت وأضافت الى التصورات الماركسية التقليدية ، الا انها أثرت فى دراسة المجتمعات النامية ، وعملية التنمية والتخلف عموما وقد بدأت هذه الدراسات بكتاب بول باران Paul Baran المعنون : الاقتصاد السياسى للنمو<sup>(١٣)</sup> ، واستمرت فى أعمال فرنك A. G. Frank<sup>(١٤)</sup> ، وأحدثت اصلاحا راديكاليا للمسائل التى طرحتها دراسة التنمية وأحيت فى سياق جديد التحليل الماركسى للنسق الاقتصادى الاجتماعى الشامل للرأسمالية والعلاقات المركبة للاستعمار والتنمية .

---

(New York : Monthly Review Press, 1972.). (١٣)

A. G. Frank, Capitalism and Underdevelopment in Latin American, 2 nd edn (New York : Monthly Review Press, 1969). (١٤)

وباختصار شديد فى :

Henry Bernstein (ed.) Under development and Development (Harmondsworth : Penguin, 1973).

والسمة المميزة الاخيرة التى اقترحها كروتش هي اهتمام علم الاجتماع الماركسى بعمليات التغير الثورى . وهذه السمة تفصل بوضوح بين الماركسية والنظريات السوسيولوجية الاخرى ، سواء التى اهتمت اهتماما محدودا بالتغير الاجتماعى وركزت على المظاهر المستمرة واللازمنية أو الدائرية للحياة الاجتماعية، أو التى أدركت التغير على انه تدريجى ، أو عملية تطويرية تنطوى على زيادة التباين الاجتماعى أو التقدم التراكمى للمعرفة . الخ (على طريقة سجنسر وبارسونز) وهناك فى الواقع فكرتان تتضمنهما النظرية الماركسية : الاولى هي الانهيارات فى الاستمرارية التاريخية ، أى الانتقال الجمعى الى صورة جديدة للمجتمع ، والاخرى هي التغير الاجتماعى من خلال الصراع بين جماعات عدائية . وتبدو هذه العناصر فى هذا القرن الذى نعيشه وهو عصر الثورات ، واقعية الى حد كبير ، وهى تقودنا الى فهم أصيل للنمو الاجتماعى ، أكثر من الافكار التى انطوت عليها النظريات السوسيولوجية المنافسة . ولكن لا تزال هناك الكثير من المشكلات التى لم تحل بعد ، بعضها تناولته فى الفصل السابق . فالعلاقة بين التغيرات التطورية والتغيرات الثورية تحتاج الى مزيد من البحث المتعمق ، وبطبيعة الحقبات الثرية يجب تحديدها بشكل أكثر دقة ، والمشكلات التى يطرحها تطور الطبقة العاملة فى المجتمعات الرأسمالية بصورة غير ثورية ، والتى قد تؤدى الى صياغات تطويرية للنظرية الماركسية ذاتها (كما فعل برنشتاين) يجب فحصها بعناية ، ومرة أخرى ، يمكن نقد الفكر الماركسى بهذا الخصوص ، فنه فشل فى اثارة دراسات امبيريقية ، أو تأملات حول

البحث الامبيريقى ، كانت يمكن أن تحدث تطورا فى نظرية التغير الثورى يتعدى طبيعتها كمبدأ أو نموذج على أعلى مستوى للتجريد .

لقد حاولت خلال المناقشة السابقة أن أحدد الخصائص الرئيسية لعلم الاجتماع الماركسى بوصفه علما امبيريقيا ، وإن أوضح فى الوقت ذاته بعض جوانب قوته وضعفه . ويجب أن يوفق فى الازهان ، حينما تأخذ فى الاعتبار نطاق الانتقادات التى أثيرت ، أن النظريات السوسيولوجية الأخرى قد تعرضت لانتقادات ربما كانت أكثر حدة، وأنه لا توجد أية نظرية عامة كانت لها قوة تحديد وتحليل المشكلات الرئيسية فى تطور المجتمعات ، وصياغة ارتباطات سببية وشبه سببية، واثارة جدل المسائل النظرية الرئيسية . ولكن ، ربما يمكن القول أن علم الاجتماع الماركسى — شأنه شأن بعض النظريات السوسيولوجية الأخرى — كان جريئا فى مطالبه لفهم الحياة الاجتماعية وتفسيرها ولم يكن مهيا لاستيعاب الجدود المفروضة على الفكر السوسيولوجى برمته ، حين يواجه بالتعقيد الهائل للتفاعل الاجتماعى والامكانيات البشرية للتجديد الابتكارى . وهذه الجسرة التى كانت تميل نحو الحماطيقية ، كانت ترتبط بوضوح بسمة أخرى للماركسية ، تلك هى التزامها بنموذج الاشتراكية كصورة مستقبلية للمجتمع . وهنا مرة أخرى ، نجد أسلوبا يشبه ما يميز علم الاجتماع بوصفه علما أخلاقيا يسعى — كما ذهب دور كايم — الى الخوض فى المسائل الفلسفية بموجد نقطة انطلاقه فيها . والشئ المهم هو أن نحتفظ بمسافة معينة بين علم الاجتماع والفلسفة ، وإن ندرك النطاق السوسيولوجى بوصفه مجالا

لتنافس النظريات حول تفسير وقائع الحياة الاجتماعية • لقد عاينت  
فكرة الاشتراكية بوصفها مستقبلا ممكنا ومرغوبا في توجيه علم  
الاجتماع الماركسي في اختياره للمشكلات الهامة ، وفي ادراك بحوث  
ذات قيمة ، وفي نقد التفسيرات الاخرى المعارضة ، لكن فكرة حتمية  
الاشتراكية - وزرعها بين وقائع الحياة الاجتماعية - قد مالت الى  
انقار الفكر الماركسي وتشويهه •



## سلسلة علم الاجتماع المعاصر

صدر منها :

### ( الكتاب الاول )

مبادئ علم الاجتماع :

اختيار وترجمة الدكتور محمد الجوهري وعلياء شكرى ومحمود  
عودة ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، دار المعارف ،  
الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٧٩ •

### ( الكتاب الثانى )

نظرية علم الاجتماع :

تأليف نيقولا تيماشيف ، ترجمة الدكتورة محمود عودة ومحمد  
الجوهري ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، دار المعارف ،  
الطبعة السادسة ، القاهرة ، ١٩٨٠ •

### ( الكتاب الثالث )

أساليب الاتصال والتفسير الاجتماعى :

تأليف الدكتور محمود عودة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ •



## ( الكتاب الرابع )

تمهيد في علم الاجتماع :

تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهري وعلياء شكرى  
ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، دار المعارف ، الطبعة  
السادسة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

## ( الكتاب الخامس )

مجتمع المصنع :

دراسة في علم اجتماع التنظيم : تأليف الدكتور محمد على  
محمد ، الهيئة العامة للكتاب بالاسكندرية ، ١٩٧٣ .

## ( الكتاب السادس )

الصفوة والمجتمع :

تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهري وعلياء  
شكرى والسيد الحسينى ومحمد على محمد ، الطبعة الثانية .  
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

## ( الكتاب السابع )

الطبقات في المجتمع الحديث :

تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهري وعلياء

شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، الطبعة الثالثة ،  
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ •

### ( الكتاب الثامن )

علم الاجتماع الفرنسى المعاصر :

تأليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب  
للتوزيع ، القاهرة ١٩٧٩ •

### ( الكتاب التاسع )

قراءات معاصرة فى علم الاجتماع :

للدكاترة علياء شكرى ومحمد على محمد ومحمد الجوهري ،  
الطبعة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ •

### ( الكتاب العاشر )

دراسات فى التنمية الاجتماعية :

تأليف الدكاترة السيد الحسينى ومحمد على محمد وعلياء  
شكرى ومحمد الجوهري ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٧٩ •

### ( الكتاب الحادى عشر )

مشكلات اساسية فى النظرية الاجتماعية :

تأليف جون ركس ، ترجمة الدكتورة محمد الجوهري ومحمد

سعيد فرح ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، منشأة  
المعارف الاسكندرية ، ١٩٧٣ •

### ( الكتاب الثانى عشر )

#### التفكير الاجتماعى :

تأليف الدكتور محمد الجوهري وآخرون ، الطبعة الثانية ،  
دار المعارف •

### ( الكتاب الثالث عشر )

#### دراسة علم الاجتماع :

الختيار وترجمة الدكتورة محمد الجوهري وعلياء شكرى ومحمد  
على محمد والسيد الحسينى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٨١ •

### ( الكتاب الرابع عشر )

#### علم الاجتماع الريفى والحضرى :

للدكتور محمد الجوهري والدكتورة علياء شكرى ، الطبعة  
الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ •

### ( الكتاب الخامس عشر )

#### مقدمة فى علم الاجتماع :

تأليف الكس انكز ، ترجمة وتقديم الدكتورة محمد الجوهري

وعلياء شكرى والسيد الحسينى ومحمد على محمد ، الطبعة  
السادسة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

### ( الكتاب السادس عشر )

مقدمة في علم الاجتماع الصناعى :

تأليف الدكتور محمد الجوهري ، دار الثقافة ، الطبعة الثالثة ،  
القاهرة ، ١٩٨٢ .

### ( الكتاب السابع عشر )

علم الفولكلور :

الجزء الأول ، تأليف الدكتور محمد الجوهري ، الطبعة الرابعة .  
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

### ( الكتاب الثامن عشر )

النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم :

تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٨١ .

### ( الكتاب التاسع عشر )

مصادر دراسة الفولكلور العربى :

إشراف الدكتور محمد الجوهري ، دار الثقافة ، القاهرة ،  
الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ .

## ( الكتاب العشرون )

الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية :

إشراف الدكتور محمد الجوهري ، دار الثقافة ، القاهرة ،  
الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ .

## ( الكتاب الحادى والعشرون )

علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث :

تأليف الدكتور محمد الجوهري ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٨١ .

## ( الكتاب الثانى والعشرون )

علم الفولكلور ، الجزء الثانى ، دراسة المعتقدات الشعبية :

تأليف الدكتور محمد الجوهري ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٨٠ .

## ( الكتاب الثالث والعشرون )

بعض ملامح التنصير الاجتماعى الثقافى فى الوطن العربى ، دراسات  
ميدانية لثقافة بعض المجتمعات المحلية فى المملكة العربية السعودية :

تأليف الدكتورة عياد شكرى ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ،  
القاهرة ، ١٩٨٢ .

## ( الكتاب الرابع والعشرون )

التراث الشعبي المصرى فى المكتبة الاوربية :

تأليف الدكتورۃ علياء شكرى ، دار الثقافة ، القاهرة ، الطبعة  
الثانية ، ١٩٨٣ •

## ( الكتاب الخامس والعشرون )

الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الاسرة :

تأليف الدكتورۃ علياء شكرى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٨٢ •

## ( الكتاب السادس والعشرون )

دراسات معاصرة فى علم الاجتماع :

تأليف الدكتورۃ علياء شكرى ، دار المعارف ، القاهرة ، تحت  
الطبع •

## ( الكتاب السابع والعشرون )

عادات الطعام فى الوطن العربى :

تأليف الدكتورۃ علياء شكرى ، تحت الطبع •

## ( الكتاب الثامن والعشرون )

### الفلاحون والنبوة :

تأليف الدكتور محمود عوده ، دار الثقافة للطباعة والنشر ،  
القاهرة ، ١٩٧٩ .

## ( الكتاب التاسع والعشرون )

### تاريخ علم الاجتماع :

تأليف الدكتور محمد علي محمد ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة  
الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ .

## ( الكتاب الثلاثون )

### علم الاجتماع والمنهج العلمي :

تأليف الدكتور محمد علي محمد ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة  
الجامعية الاسكندرية ، ١٩٨٣ .

## ( الكتاب الحادي والثلاثون )

### اصول علم الاجتماع السياسي :

تأليف الدكتور محمد علي محمد ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة  
الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ .

## ( الكتاب الثاني والثلاثون )

### جماعات الفجر مع اشارة لفجر مصر والبلاد العربية :

تأليف الدكتور نبيل صبحي حنا ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٨٠ .

## ( الكتاب الثالث والثلاثون )

### الانثروبولوجيا :

أسس نظرية وتطبيقات عملية : تأليف الدكتور ممدوح الجوهري ،  
الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ •

## ( الكتاب الرابع والثلاثون )

### علم الاجتماع السياسي :

المفاهيم والقضايا : تأليف الدكتور السيد الحسيني ، الطبعة  
الثانية ، دار المعارف ، ١٩٨١ •

## ( الكتاب الخامس والثلاثون )

علم الاجتماع العسكري : التحليل السوسيولوجي لنسق السلطة  
العسكرية :

تأليف الدكتور أحمد خضر ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٨٠ •

## ( الكتاب السادس والثلاثون )

### الفكر الاجتماعي :

نظرة تاريخية عالمية ، تأليف هاينز موس ، ترجمة الدكتور  
السيد الحسيني والدكتورة جهينة سلطان العيسى ، الطبعة  
الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ •



## ( الكتاب السابع والثلاثون )

### التنمية والتخلف :

دراسة تاريخية بنائية ، تأليف الدكتور السيد الحسينى ،  
الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ •

## ( الكتاب الثامن والثلاثون )

### الدينونة :

دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، تأليف الدكتور السيد  
الحسينى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ •

## ( الكتاب التاسع والثلاثون )

### النظرية الاجتماعية المعاصرة :

دراسة لعلاقة الانسان بالمجتمع ، تأليف الدكتور على ليلة ،  
دار المعارف القاهرة ، ١٩٨١ •

## ( الكتاب الأربعون )

### علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية :

تأليف الدكتور أحمد زايد ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٨١ •

## ( الكتاب الحادى والاربعون )

البناء السياسى فى الريف المصرى : تحليل لجماعات الصفوة القديمة والجديدة :

تأليف الدكتور أحمد زايد ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ •

## ( الكتاب الثانى والاربعون )

علم الاجتماع الامريكى :

دراسة لاعمال تالكوت بارسونز ، تأليف جى روشيه ، ترجمة الدكتور محمد الجوهري والدكتور أحمد زايد ، الطبعة الاولى ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٨١ •

## ( الكتاب الثالث والاربعون )

البنائية الوظيفية فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا : المفاهيم والقضايا:

تأليف الدكتور على ليلة ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ •

## ( الكتاب الرابع والاربعون )

علم الاجتماع والنقد الاجتماعى :

تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهري والسيد الحسينى وعلى ليلة وأحمد زايد ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ •

## ( الكتاب الخامس والاربعون )

### الاقتصاد والمجتمع في العالم الثالث :

تحرير الن مونتجوى ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهري وعلى  
ليلة وأحمد زائد ، دار المعارف ، تحت الطبع .

## ( الكتاب السادس والاربعون )

### وقت الفراغ في المجتمع الحديث :

تأليف الدكتور محمد على محمد ، دار المعرفة الجامعية ،  
الاسكندرية ، ١٩٨١ .

## ( الكتاب السابع والاربعون )

### علم الاجتماع :

تأليف جونسون ، ترجمة وتعليق الدكاترة علياء شكرى ومحمد  
الجوهري وعلى ليلة وأحمد زايد وحسن الخولى ، تحت الطبع .

## ( الكتاب الثامن والاربعون )

### الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث :

مدخل اجتماعى ثقافى ، تأليف الدكتور حسن الخولى ، الطبعة  
الاولى ، دار المعارف ، ١٩٨٢ .

## ( الكتاب التاسع والاربعون )

المرأة المصرية بين البيت والعمل :

تأليف الدكتور محمد سلامة آدم ، الطبعة الاولى ، دار  
المعارف ، ١٩٨٢ •

## ( الكتاب الخمسون )

النظرية الاجتماعية في الفكر الاسلامى :

تأليف الدكتورة زينب رضوان ، دار المعارف ، الطبعة الاولى ،  
١٩٨٢ •

## ( الكتاب الحادى والخمسون )

نحو نظرية اجتماعية نقدية :

تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٢ •

## ( الكتاب الثانى والخمسون )

التغير الاجتماعى • اختيار وترجمة :

الدكاترة ممدد الجوهري وعلياء شكرى وعلى بيلى ، دار  
المعارف ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٢ •

## ( الكتاب الثالث والخمسون )

النظرية الاجتماعية ودراسة الاسرة :

تأليف الدكتورة منامية الخشاب ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٨٢ •

## ( الكتاب الرابع والخمسون )

### البناء الاجتماعى والثقافة فى مجتمع الفجر :

دراسة أنثربولوجية لتأثير البناء والثقافة والشخصية على  
التكامل الاجتماعى تأليف الدكتور نبيل صبحى حنا ، الطبعة  
الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ •

## ( الكتاب الخامس والخمسون )

### المجتمع والثقافة والشخصية : مدخل الى علم الاجتماع :

تأليف الدكاترة محمد على محمد ، وغريب سيد أحمد وعلى  
عبد الرازق جلى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ •

## ( الكتاب السادس والخمسون )

### التصنيع فى الدول النامية :

تأليف آلان موننجوى ترجمة وتقديم الدكتور السيد الحسينى  
الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ •

## ( الكتاب السابع والخمسون )

### علم اجتماع الادارة :

تأليف الدكتور عبد الهادى الجوهري ، دار المعارف ، القاهرة ،  
الطبعة الاولى ، ١٩٨٣ •

## ( الكتاب الثامن والخمسون )

### علم الاجتماع الطبى :

اختيار وترجمة الدكاترة محمد على محمد ، سناء الخولى ،  
على عبد الرازق جلبى ، سامية جابر ، الطبعة الاولى ، دار  
المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ •

## ( الكتاب التاسع والخمسون )

### نقد علم الاجتماع الماركسى :

تأليف توم بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد على محمد ، على  
عبد الرازق جلبى ، الطبعة الاولى ، دار المعرفة الجامعية ،  
١٩٨٣ •









8  
Bibliotheca Alexandrina



0615139